التسلسل العام للدروس (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، أما بعد:

قال المؤلف ـــ رحمه الله ـــ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اعْلَمْ رَحِمَكَ اللَّهُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِلَ:

الْأُولَى: الْعِلْمُ، وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ، وَمَعْرِفَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ بِالْأَدِلَّةِ.

الثَّانِيَةُ:الْعَمَلُ بِهِ.

الثَّالِثَةُ: الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ.

الرَّابِعَةُ:الصَّبْرُ عَلَى الْأَذَى فِيهِ.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين أما بعد:

فهذا الكتاب أو هذه الرسالة التي بين أيدينا للإمام محمد بن عبد الوهاب ـــ رحمه الله ـــ وهي رسالة نافعة ماتعة قلت كلماتها وكثرت فوائدها، وهي رسالة عظيمة، كان الإمام ـــ رحمه الله ـــ يبعث بها إلى عامة الناس، فألفها لعامة الناس يتعلمون فيها أحكام الاعتقاد الحق؛ لأن الناس كانوا في وقت الإمام قد وقعوا في أمور محرمة وأمور شركية فألف الإمام ـــ رحمه الله ـــ هذه الرسالة لبيان حقيقة التوحيد وأهمية التوحيد.

وهذه الرسالة تسمى عند العلماء:

- بثلاثة الأصول.
- وبعضهم يسميها بثلاثة الأصول وأدلتها.
- ومنهم من يسميها بالأصول الثلاثة.

ولكن الأظهر والأقرب أن تسمى بثلاثة الأصول، وهذه الرسالة هي عبارة عن: مقدمة لثلاثة الأصول، ثم بعد ذلك ذكر موضوع هذه الرسالة وهو: ثلاثة الأصول، ثم بعد ذلك ختم بما يكون في اليوم الآخر، فهذه الرسالة عبارة عن ثلاثة مقاطع:

المقطع الأول: مقدمة.

المقطع الثاني: موضوع الرسالة.

المقطع الثالث: نهاية الرسالة أو خاتمة الرسالة عن اليوم الآخر، وبعض المسائل.

وهل هذه الرسالة هي رسالة واحدة، أو أنها مجموعة من عدة رسائل للإمام ـــ رحمه الله ـــ؟

- من العلماء من قال: أنها عبارة عن ثلاثة رسائل:

الرسالة الأولى: التي قال المصنف ـــ رحمه الله ـــ فيها: **اعْلَمْ - رَحِمَكَ اللَّهُ - أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِلَ**، ومثل ذلك أيضًا ما بعدها بقوله: اعْلَمْ - رَحِمَكَ اللَّهُ - ، اعلم ـــ أرشدك الله ـــ، هذه الرسالة الأولى.

الرسالة الثانية: التي يتحدث عن الأصول الثلاثة، فإذا قيل لك ما الأصول الثلاثة؟.

الرسالة الثالثة: التي هي في آخر الرسالة وهي التي تتحدث عن يوم البعث ـــ يوم القيامة ـــ.

فاجتهد بعض العلماء فجمعها في رسالة واحدة.

- وقال بعض العلماء بل هي رسالة واحدة ألفها الإمام ـــ رحمه الله ـــ **من قوله: اعْلَمْ - رَحِمَكَ اللَّهُ - أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا** إلى نهاية الرسالة، فهي رسالة، ولكن الأمر الذي يتفق عليه العلماء أن: هذه الرسالة هي من تأليف الإمام محمد بن عبد الوهاب، سواء قلنا أنها عدة رسائل مجموعة أو قلنا بأنها هي رسالة واحدة.

📖 **قال المؤلف ـــ رحمه الله ـــ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.**

العلماء يبدأون بذكر البسملة ولكن لماذا؟

أولًا: أنه ورد في الحديث:**[كل أمر ذي بال لا يُبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أبتر]**، أي بمعنى أقطع لا بركة فيه، ولكن هذا الحديث ضعيف،

ثانيًا: يستدل العلماء بدليل آخر وهو: فعل النبي - في مكاتبته للملوك أنه يبدأ ببسم الله الرحمن الرحيم.

ثالثًا: اقتداء وتأسيً بكتاب الله ـــ عز وجل ـــ حيث أنه في بداية كل سورة يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم.

رابعًا: قالوا: لوجود البركة في اسم الله ـــ عز وجل ـــ فاستحب العلماء البداءة ببسم الله الرحمن الرحيم حينما يؤلف الإنسان كتابًا أو رسالة أو خطابًا أو يريد أن يتكلم فيبدأ بذكر الله ـــ عز وجل ـــ سواء كانت تسمية الحمد له أو غير ذلك.

قوله: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: بسم الله الرحمن الرحيم تذكر على سبيل الاستحباب، **والعلماء قالوا: بأن هذا اللفظ له أحكام تخصه:**

الحكم الأول: قد تكون التسمية شرطًا من شروط العبادة، لا يصح هذا الأمر إلا إذا وُجدت التسمية.

مثال ذلك: عند الذبح، إذا أراد الإنسان أن يذبح يقول: بسم الله، ولكن هل يضيف الرحمن الرحيم أو لا يضيفها؟

لا ؛ لأن مقام الذبح مقام فيه إزهاق أرواح وفيه إسالة للدماء والرحمة تنافي ذلك، فيقول: بسم الله.

الحكم الثاني: أن تكون التسمية واجبة.

مثال ذلك: عند الأكل أو الشرب.

الحكم الثالث: أن تكون التسمية مستحبة.

مثال ذلك: عند قراءة القرآن وعند التأليف للرسائل والكتب.

الحكم الرابع: أن تكون التسمية مباحة.

مثال ذلك: حينما يكتب الإنسان أمرًا مباحًا أو يعمل عملًا مباحًا فإنا نقول: أن التسمية تكون مباحة.

الحكم الخامس: أن تكون التسمية مكروهة.

مثال ذلك: عند فعل الأمر المكروه: كأن يكون الإنسان في الخلاء فيكره ذكر اسم الباري ــ سبحانه وتعالى ــ فنقول: أنه يكره أن يجهر الإنسان بالتسمية في الخلاء.

الحكم السادس: أن تكون التسمية محرمة.

مثال ذلك: عند فعل الأمر المحرم: كأكل الحرام أو شرب الحرام، فإنه يحرم على الإنسان أن يقول: بسم الله في بداية الأمر المحرم.

الحكم السابع: أن تكون التسمية بدعة، ولكن متى تكون بدعة؟

نقول عند الأمر الشرعي الذي لم يرد فيه التسمية، فوقوع التسمية أو الاستمرار على التسمية في ذلك الأمر يعد من جملة الأمور المبتدعة.

مثال:

١. شخص يريد أن يصلي فقبل أن يقول: الله أكبر يقول: بسم الله الرحمن الرحيم الله أكبر.

حكم التسمية هنا: بدعة، والاستمرار على هذا الفعل بدعة.

٢. شخص يريد أن يؤذن، قبل أن يقول: الله أكبر للأذان يقول: بسم الله الرحمن الرحيم الله أكبر، فالاستمرار على هذا الفعل يعد من جملة الأمور المبتدعة.

📖 قال المؤلف ــ رحمه الله ــ: اعْلَمْ – رَحِمَكَ اللَّهُ –.

قوله: اعْلَمْ ، فعل أمر من العلم، والعلم هو حكم الذهن الجازم المطابق للواقع، وهو على نوعين:

النوع الأول: علم ضروري يدركه كل إنسان وهو الذي لا يحتاج إلى بحث أو نظر.

النوع الثاني: علم مكتسب: وهو الذي يحتاج بحث ونظر واستدلال، وهذا النوع ــ أي المكتسب ــ نقول على نوعين أيضًا:

١. علم دنيوي: كعلم الطب والحاسب والحساب وغير ذلك.

٢. علم شرعي: وهو معرفة الكتاب والسنة، وهذا العلم ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: فرض عين.

القسم الثاني:فرض كفاية.

فرض العين: ما يلزم على كل واحد أن يتعلمه، كمعرفة الصلاة والحج وغير ذلك من الواجبات العينية.

أما **فرض الكفاية** هو: الذي إذا قام به البعض سقط عن الباقين،كمعرفة – مثلًا – بعض الأحكام الفقهية كالفرائض وأحكام الأذان وغير ذلك.

لماذا قال المصنف ــ رحمه الله ــ: اعْلَمْ – رَحِمَكَ اللَّهُ –؟

جاء المصنف ــ رحمه الله ــ بلفظ العلم ثم قرنه بالرحمة، لماذا؟

الجواب: لأن العلم مقرون بالرحمة، فالعلم يدل على الرحمة، لذلك قال تعالى: {الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ} [الرحمن: ١، ٢]، فقرن العلم بلفظ الرحمن؛ لأنه يبين لك أن العلم لا بد أن يكون من العلم الذي يدل على الرحمة.

فائدة قرن العلم بالرحمة: ليبين لك أن العلم يدل على الرحمة، فينبغي للعالم أن يكون رحيمًا بالمتعلم، وينبغي للإنسان أن يتعلم ويكون تعلمه يؤدي به إلى الرحمة ويدخله في الرحمة.

فلذلك نقول: أن من صفات العالم أن يكون رحيمًا بالناس ، ومن صفات المتعلِّم أنه يتعلم العلم وكذلك الرحمة؛ لأن الله ــ عز وجل ــ قال: {الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ} [الرحمن: ١، ٢]فقرن العلم باسمه ــ سبحانه وتعالى ــ الرحمن.

📖 **قال المؤلف ــ رحمه الله ــ: أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِلَ.**

قوله: يَجِبُ: أصل الوجوب بمعنى السقوط، والواجب هو: ما أمر به الشارع أمرًا جازمًا، وحكمه: يثاب فاعله ويعاقب تاركه.

قوله: أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا: الضمير يعود على من؟

الجواب: الضمير يعود على المكلَّفين، أي يجب على المكلَّف تعلم أربع مسائل.

قوله: أَرْبَعِ مَسَائِلَ: لماذا لم يقل خمس أوست أو سبع مسائل، وإنما قصرها على أربع مسائل؟

الجواب: أن هذا من باب التيسير وحفظ العلم، وإلا فالواجبات التي يجب علينا أن نتعلمها كثيرة، وإنما هذه الرسالة كانت مؤلفة لعامة الناس فأراد ضبط العلم ، وتيسيره، وتسهيله، فقصره على أربع مسائل، وإلا الواجبات في الكتاب والسنة كثيرة، ولكن المصنف ــ رحمه الله ــ قصرها على أربع من باب ضبط العلم وتيسيره وتسهيله للناس حتى يضبطوا هذه المسائل الأربع، لذلك ذكر بعدها ثلاث مسائل.

قوله: تَعَلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِلَ: المسألة هي مادة البحث التي تحتاج إلى أدلة ونظر واستدلال، قد تكون هذه المسألة فقهية أو عقدية أو حديثية وقد تكون شرعية وقد تكون غير شرعية، ولكن المصنف ــ رحمه الله ــ يتحدث عن أمر شرعي وهو: معرفة الكتاب والسنة.

📖 **قال المؤلف ــ رحمه الله ــ: الْأُولَى: الْعِلْمُ، وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ، وَمَعْرِفَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ بِالْأَدِلَّةِ.**

قوله: الْعِلْمُ: سبق تعريفه، والمراد به ما ذكره المصنف – رحمه الله – هنا: **وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ، وَمَعْرِفَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ بِالْأَدِلَّةِ**: أي بمعنى: أن المراد بالعلم هنا إنما هو العلم الشرعي، معرفة الكتاب والسنة.

قوله: مَعْرِفَةُ اللهِ: الإيمان بالله ـــ عز وجل ـــ يتضمن أربعة أمور:

الأمر الأول: الإيمان بوجوده، أي: أن الله موجود ـــ سبحانه ـــ، ودل على وجوده: الكتاب والسنة والعقل والفطرة والحس، ولكن قد يقول قائل: ما فائدة هذه الأدلة، نكتفي بالكتاب والسنة فلا نحتاج إلى ذكر أدلة العقل والفطرة والحس إلى غير ذلك، نقول: هذا للمؤمن يكتفي بالكتاب والسنة، ولكن هناك من الناس من لم يؤمن بالكتاب والسنة أو عنده شك في الكتاب والسنة، أو عنده لَبس بوجود الله ـــ عز وجل ـــ وخاصة لمن دخل في علم الكلام، أو بدأ يقرأ كتب الفلاسفة وإن كان هو رجل مصلي وقد يكون يحفظ لبعض سور القرآن ولكنه يشك في هذه المسألة.

ومن الغريب أو المناسب أنه قبيل أن أدخل للمسجد اتصل بي أحد الإخوة يشكو حال أخيه، يقول: هو رجل كبير في السن، ورجل فيه خير ورجل مصلي محافظ على الصلاة، إلا أنه دخل في هذه المسألة وهي مسألة الشك في وجود الله، يقول: بدأ يناظر أن الله ليس بموجود، وسألته عن السبب؟

قال: السبب الرئيسي في هذا الأمر أنه بدأ يقرأ كتب الفلاسفة، فانحرف، مع أنه مصلي وتربى بين أبوين مسلمين وغير ذلك، فلذلك نحتاج أحيانًا ذكر الأدلة العقلية **وإثبات ذلك لأمرين**:

الأول: من باب تكثير الأدلة.

الثاني: للرد على من لم يؤمن بالكتاب والسنة، فنستدل به على إثبات وجود الله أو غير ذلك من المسائل بالدليل العقلي.

هذا الأمر الأول، الذي هو الإيمان بالله ـــ عز وجل ـــ يشمل الإيمان بوجوده.

الأمر الثاني: الإيمان بربوبيته، أي أن الله ـــ عز وجل ـــ هو الرب ـــ سبحانه وتعالى ـــ الخالق المدبر المحيي المميت.

الأمر الثالث: الإيمان بألوهيته، أي الإيمان بأنه الرب المعبود الذي تصرف له العبادة.

الأمر الرابع: الإيمان بأسمائه وصفاته، أي أنه له أسماء وصفات دل عليها الكتاب والسنة، فإذا قلت أنا مؤمن بالله، أي: مؤمن بوجوده، مؤمن بربوبيته، مؤمن بألوهيته، مؤمن بأسمائه وصفاته.

قوله: وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ: هنا المصنف ـــ رحمه الله ـــ قال في الأول: معرفة الله، ثم قال: معرفة النبي، مع أنه قال: العلم.

مسألة دقيقة: هل العلم بمعنى المعرفة أو المعرفة بمعنى العلم، وأيهما أخص؟

الجواب: هذه مسألة الإطالة فيها أو الكلام فيها لا حاجة لنا فيه، ولكن الأظهر أن العلم بمعنى المعرفة، والمراد بالمعرفة هنا: العلم.

معرفة النبي ﷺ تشمل:

- معرفة اسمه ﷺ.
- معرفة صفاته ﷺ
- معرفة أحواله ﷺ قبل البعثة وبعد البعثة.
- معرفة ما جاء به النبي ﷺ من أمور تشريعية.

فإذا قلنا معرفة النبي ﷺ تشمل هذه الأمور وغيرها، فمنها ما يكون واجبًا ومنها ما يكون من باب المستحب.

قوله: وَمَعْرِفَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ بِالْأَدِلَّةِ.

الدين بمعنى: الطاعة، يقال: رجل ديّن أي بمعنى: رجل مطيع، لذلك الناس يقولون: فلان مطوّع، أي بمعنى أنه رجل طوع نفسه لله ـــ عز وجل ـــ أي رجل ديّن؟

الإسلام يطلق على معنيين:

المعنى الأول: الإسلام بالمعنى العام، أي بمعنى أنه يشمل جميع الأديان، وهو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والخلوص من الشرك وأهله، أو البراءة من الشرك وأهله، فإذا قلنا الإسلام بهذا المعنى يشمل ما جاء به النبي ﷺ، وما جاء به عيسى وما جاء به موسى، وما جاء به غيرهم من الأنبياء.

المعنى الثاني: الإسلام الخاص وهو: ما جاء به النبي ﷺ من أحكام وشرائع.

قوله: بِالْأَدِلَّةِ : الدليل هو المرشد إلى المطلوب، والأدلة قد تكون سمعية من الكتاب والسنة، وقد تكون أدلة عقلية أي: يستدل بها الإنسان بعقله، ولكن قد يقول قائل: هل يوجد دليل من القرآن يدل على أن الإنسان يستدل بعقله على إثبات بعض الأشياء؟

الجواب: نعم، قال تعالى:{وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ} [العنكبوت: ٤٣]، وما يعقلها أي: وما يتأمل، وما يتدبر وما يستدل إلا العالم على إثبات هذه الأشياء، بعدها ذكر ضرب الأمثال، وقال تعالى:{وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ} [الذاريات: ٢١]، فهذا يدعو إلى التدبر والتفكر وهو من الأدلة العقلية، فقول المصنف ـــ رحمه الله ـــ: ومعرفة دين الإسلام بالأدلة، أي: بالأدلة السمعية والأدلة العقلية.

ولكن لماذا قال المصنف ـــ رحمه الله ـــ قال: وَمَعْرِفَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ بِالْأَدِلَّةِ ، و لم يقل: ومعرفة دين الإسلام فقط؟

الجواب: أنه قرنه بالأدلة لفائدة ومقصد وهو أنه يشير إلى أن العقائد لا تقليد فيها، أي بمعنى: أنك تأخذ هذا الدين من الكتاب والسنة فلا تقلد أحدًا في ذلك، فكأنه يقول: معرفة دين الإسلام بدون تقليد، ولكن جاء بالعبارة فقال: بالأدلة؛ لأن أكثر شُبه القوم من العرب الذين في عهد النبي ﷺ وكذلك الأمم السابقة أنهم قلدوا الآباء: { إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ} [الزخرف: ٢٢] ، فهم يقتدون بالآباء.

فالمصنف ـــ رحمه الله ـــ يقول: أن ذلك التقليد لا ينفع في باب العقائد لا بد أن تعرف العقائد وتأخذها العقائد من الكتاب والسنة، لذلك قال: وَمَعْرِفَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ بِالْأَدِلَّةِ.

📖 قال المؤلف ـــ رحمه الله ـــ: الثَّانِيَةُ:الْعَمَلُ بِهِ.

الرَّابِعَةُ:الْصَّبْرُ عَلَى الْأَذَى فِيهِ

أي العمل بهذا العلم، لماذا؟ لأنه هو ثمرة العلم، فما فائدة العلم؟ العمل، لذلك قال تعالى: {فَاعْلَمْ } [محمد: ١٩] : فبدأ بالعلم، ثم قال: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ} [محمد: ١٩]، واستغفر لذنبك: أي اعمل، فثمرة العلم إنما هي العمل.

هل المصنف ـــ رحمه الله ـــ قصد المجيء بهذا الترتيب ؟

الجواب: نعم المقصود في ذلك أن الإنسان يبدأ بالعلم قبل العمل؛ لأن العلم أهم من العمل، والعمل ثمرة العلم، والسلف ـــ رحمهم الله ـــ ضربوا أروع الأمثلة في هذه المسألة، أي أنهم تعلموا وعملوا بهذا العلم، لذلك يذكر عن أبي بكر الصديق ـــ رضي الله عنه ـــ أنه ما كذب في الإسلام كذبة، لذلك سمي بالصديق؛ لأنه يعرف أن الكذب حرام، ويقول الإمام البخاري ـــ رحمه الله ـــ: ما اغتبت أحدًا منذ عرفت أن الغيبة حرام، لماذا؟ لأنه علموا فعملوا بهذا العلم،

والناس في هذا الباب على ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: مَن يعلم ولا يعمل، وهؤلاء هم اليهود.

الصنف الثاني: مَن يعمل بلا علم، وهؤلاء هم النصارى.

الصنف الثالث: مَن جمع بين العلم والعمل وهم المسلمون.

📖 قال المؤلف ـــ رحمه الله ـــ: الثَّالِثَةُ: الْدَّعْوَةُ إِلَيْهِ.

أي الدعوة إلى هذا العلم، وثمرة العلم أن الإنسان يدعو إلى الله ـــ عز وجل ـــ، والدعوة هي وظيفة الأنبياء، وألذ ما في الحياة أن يشتغل الإنسان بالدعوة إلى الله ـــ عز وجل ـــ، وهي طريق المرسلين، قال تعالى: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ} [يوسف: ١٠٨] }، ولكن قال:{أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ} [يوسف: ١٠٨]، أي على علم واضح شاهد، لذلك النبي ﷺ منذ البعثة إلى وفاته كان يشتغل بالدعوة إلى الله ـــ عز وجل ـــ، والله ـــ عز وجل ـــ أمره بقوله: {قُمْ فَأَنْذِرْ} [المدثر: ٢]، وذلك بالدعوة، ينذر بالتوحيد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والمصنف ـــ رحمه الله ـــ جاء بهذا الترتيب لمقصد: أن الإنسان إذا علم ثم بعد ذلك عمل بهذا العلم أنه لا يقتصر على نفسه بل يبحث ويدعو إلى الله ـــ عز وجل ـــ، يذهب إلى الناس كما فعل النبي ﷺ ويدعو ولكن بعد العلم، والنبي ﷺ قال:**[بلغوا عني ولو آية]** والكل منا يحفظ آية، ويحفظ حديث ويفهم آية ويفهم حديث، فمسألة الدعوة أمرها

عظيم، ولكن لا يعني ذلك أن الإنسان يفرط في الواجبات أو يرتكب المحرمات أو يترك العلم من أجل الدعوة، بل على الإنسان أن يجمع بين العلم وبين الدعوة.

قوله: الْدَّعْوَةُ إِلَيْهِ ، الضمير في إليه يعود إلى ماذا؟

الجواب: الضمير يعود إلى العلم أنك تدعو إلى العلم، **وحكم الدعاء إلى العلم:**

– إن كان هذا العلم من الواجبات فالدعوة إليه واجبة: كالدعوة إلى الصلوات المفروضة، والدعوة إلى الزكاة والحج وغير ذلك.

– إن كان هذا العلم من العلوم المستحبة فالدعوة إليه من الأمور المستحبة ، والدعوة لها أحكام تخصها كما أن الداعية لا بد أن يتحلى بصفات الداعية الحق في ذلك.

📖 قال المؤلف ــ رحمه الله ــ: الْرَّابِعَةُ:الْصَّبْرُ عَلَى الْأَذَى فِيهِ.

لما ذكر المصنف ــ رحمه الله ــ العلم، ثم بعد ذلك ذكر أن الإنسان يعلم ويعمل، وبعد ذلك ذكر الدعوة كأنه ينبه إلى أنه قد يكون على الداعية أن يصبر، فإنه قد يتأذى في حال الدعوة وهذه هي حال النبي ﷺ، النبي ﷺ لما دعا الناس إلى التوحيد حصل ما حصل له من أمور فأرادوا قتله وهجروا النبي ﷺ وأصحابه وحصل بينه وبين كفار قريش ما حصل وكذلك مع اليهود ومع أهل الطائف وغير ذلك من الأمور، فالداعية لا بد أنه يعلم ويعرف أن هناك أمورًا تترتب في حال دعوته، فلا بد له أن يصبر ويحتسب ويعرف أن هذه الأمور إنما هي من طريق الدعوة، وعليه الصبر على الأذى فيه.

تعريف الصبر:

لغة: هو الحبس، واصطلاحًا: هو حبس اللسان عن التشكي، والقلب عن الجزع، والجوارح عن اللطم والشق.

والصبر على نوعين:

النوع الأول: صبر على ما يخالف الهوى، ويدخل في ذلك الصبر على طاعة الله، والصبر عن معصية الله، والصبر على أقدار الله المؤلمة.

النوع الثاني: صبر على ما يوافق الهوى، كالصبر على المال والمسكن والزوجة والأولاد وغير ذلك، فهذه محبوبة للنفس. فإذا منّ الله عليك فلا بد أن تواجه هذه الأمور بالصبر بأن تستخدم هذه الأمور في طاعة الله ــ عز وجل ــ.

والدليل على هذا التقسيم: قول عبد الرحمن بن عوف ــ رحمه الله، ورضي الله عنه ــ:(ابتلينا بالضراء فصبرنا، وابتلينا بالسراء فلم نصبر)، أي: في وقت النبي ﷺ ابتلينا بالضراء أي بالمصائب، ابتلينا بالقتل والهجرة وابتلينا ببعض الأمور فصبرنا، النوع الثاني: ابتلينا بالسراء أي: دخلت علينا الدنيا بالأموال والأولاد والزوجات والمسكن وغير ذلك فلم نصبر.

حكم الصبر:

الصبر يعد من الأمور الواجبة، والناس تجاه المصائب على أربعة أقسام:

القسم الأول: التسخط، أن يتسخط ولا يصبر.

وهذا حكمه: محرم؛ لأن النبي ﷺ قال: **[ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية]**.

القسم الثاني: الصبر، وهو أن يحبس الإنسان نفسه عن التشكي، يجد في قلبه ألمًا ولكن يحبس هذا الألم، وهذا من الواجبات.

القسم الثالث: الرضا: أي: الرضا عند وجود هذه المصيبة، وهي أن تستوي المصيبة مع عدمها فيرضى ويسلم بقضاء الله، وهذا مستحب.

القسم الرابع: الشكر: أن يشكر الإنسان ربه على وجود المصيبة، وهذا بلا شك أفضل الدرجات وأعلى المقامات، وهذا أيضًا من الأمور المستحبة.

📖 **قال المؤلف ـــ رحمه الله ـــ: وَالْدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى – بِسْمِ اللَّهِ الْرَّحْمَنِ الْرَّحِيمِ –: { وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣) } [العصر: ١-٣].**

أي الدليل على هذه المسائل الأربع وأنها تعد من الأمور الواجبة.

قوله تعالى: { وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣) } [العصر: ١-٣].

قول المصنف ـــ رحمه الله ـــ: وَالْدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى – بِسْمِ اللَّهِ الْرَّحْمَنِ الْرَّحِيمِ –: كأن المصنف ـــ رحمه الله ـــ يرى أن التسمية آية من الآيات، لذلك قال: والدليل قوله تعالى :" بسم الله الرحمن الرحيم"،وهذه المسألة اختلف العلماء فيها، هل التسمية آية، أو أنها ليست بآية، والخلاف فيها طويل.

قوله تعالى: { وَالْعَصْرِ} [العصر: ١]: الواو للقسم، والعصر أي: الوقت أو الزمان، وأقسم الله به لعظمه وأهميته.

قوله تعالى: {إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ} [العصر:٢]: أي إن الإنسان لفي ضلال وضنك.

ثم استثنى فقال: **{إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} [العصر: ٣]. " إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا "** أي: إلا الذين علموا فعملوا بما علموا من هذا الدين فآمنوا بالله ـــ عز وجل ـــ.

" إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ": هذا دليل العلم والعمل.

" وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ " أي: أوصى بعضهم بعضًا بالحق أي بالثبات على الحق ومعرفة الحق، والاستمرار على الحق، وذلك بفعل الواجبات وترك المحرمات، وهذا دليل الدعوة إلى الله.

" وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ " أي: أوصى بعضهم بعضًا بالصبر، وهذا دليل المسألة الرابعة.

قال المؤلف ـــ رحمه الله ـــ: قَالَ الْشَّافِعِيُّ -رَحِمَهُ اَللَّهُ تَعَالَى-: (لَوْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إِلاَّ هَذِهِ الْسُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ).

المراد بذلك أن هذه السورة فيها بيان المنهج الحق أو المنهج الرباني وطريق الاستقامة، وبيان الغواية في ذلك، فمن استمسك بهذه السورة كانت نبراسًا له في معرفة الحق والباطل، ولا يريد الإمام الشافعي ـــ رحمه الله ـــ أن هذه السورة تغني عن بقية الآيات، فهناك آيات فيها إثبات الصلاة ووجوب الصلاة، والزكاة ووجوب الزكاة، والحج ووجوب الحج، والتوحيد ووجوب التوحيد، وتحريم بعض الأمور المحرمة لم تذكر في هذه السورة، فإذن مراد الإمام ـــ رحمه الله ـــ لو ما أنزل الله حجة في إثبات الطريق وبيان الهداية وبيان طريق الغواية إلا هذه السورة لكانت هذه السورة كافية في ذلك، وهذا كله يدل على فضل وعظم هذه السورة.

قال المؤلف ـــ رحمه الله ـــ: وَقَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (بَابُ: الْعِلْمِ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ؛ وَالْدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: { فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ } [محمد:١٩]، فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ [قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ]).

هذا الكلام من الإمام ـــ رحمه الله ـــ فيه زيادة توضيح على كلام الإمام البخاري، فقول المصنف ـــ رحمه الله ـــ هنا: والدليل أي زيادة هذه اللفظة إنما هي من كلام الإمام ليبين مراد الإمام البخاري ـــ رحمه الله ـــ.

قوله:(بَابُ: الْعِلْمِ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ): أي بمعنى أن الإنسان يبدأ بالعلم قبل أن يقول قولًا أو يعمل عملًا.

قوله: وَالْدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: { فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ } [محمد:١٩]: أي بدأ بالعلم وهو أعظم أمر وخاصة في معرفة لا إله إلا الله، ثم قال:" **وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ** ": وهذا العمل، فبدأ بالعلم قبل القول والعمل.

قال المؤلف ـــ رحمه الله ـــ: اِعْلَمْ - رَحِمَكَ اَللَّهُ - أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ، تَعَلُّمُ هَذِهِ الْمَسَائِلِ الْثَّلَاثِ، وَالْعَمَلُ بِهِنَّ:.

قوله: اِعْلَمْ - رَحِمَكَ اَللَّهُ - ، سبق شرحها.

قوله:أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ:هنا غاير في التعبير، فجاء بلفظ مسلم ومسلمة، لماذا؟

الجواب: أن هذا التعبير إنما هو تعبير قرآني وقد ورد في بعض الآيات ذكر هذا التعبير، كقوله تعالى: {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} [الأحزاب: ٣٥]، ولكن إذا أفرد أحدهما شمل الآخر.

قال المؤلف ـــ رحمه الله ـــ: اَلْأُولَى: أَنَّ اَللَّهَ خَلَقَنَا، وَرَزَقَنَا، وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلاً بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولاً، فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ الْنَّارَ، وَالْدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً (١٥) فَعَصَى فِرْعَوْنُ الْرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيلاً}[المزمل: ١٥-١٦].

هذا فيه إثبات توحيد الربوبية، أي أن الله هو الخالق والرازق، ولم يتركنا هملًا أي لم يتركنا عبثًا سدى- وأصل الهمل هو: الرعي بالليل بلا قائد -، بل أرسل إلينا رسولًا من أطاعه دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار،كما قال النبي

ﷺ:**[من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني دخل النار]** ، والدليل قوله تعالى: **{إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا} [المزمل: ١٥]** ، **{فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا} [المزمل: ١٦]**،كما أن الله ـــ عز وجل ـــ أرسل إلى بني إسرائيل موسى وأمرهم بطاعته كذلك أرسل إلى الناس جميعًا النبي ﷺ وأمرهم بطاعته، فمن أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار.

📖 **قال المؤلف ـــ رحمه الله ـــ: اَلثَّانِيَةُ: أَنَّ اَللَّهَ لَا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ، لَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ؛ وَالْدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً} [الجن: ١٨].**

الواجب الثاني ذكره المصنف ـــ رحمه الله ـــ في إثبات توحيد الألوهية، الأول في الربوبية والثاني في الألوهية.

قوله: أَنَّ اَللَّهَ لَا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ:الشرك لا يرضاه الله، كما أن أوجب الواجبات التوحيد، وأكبر المحرمات هو الشرك، والشرك مأخوذ من التشريك وهو الزوج ضد الوتر أو الإفراد، والشرك هو أن تجعل لله ندًّا وهو على نوعين:

النوع الأول: الشرك الأكبر ، وضابطه: هو صرف العبادة لغير الله، كمن يصلي لصنم أو يدعو قبرًا، أو يذبح لميت.

النوع الثاني: الشرك الأصغر، وهو كل وسيلة للأكبر و لم يصل درجة الشرك الأكبر فهو أصغر، **وله ضوابط**:

الضابط الأول: ما نص الشارع على أنه شرك أصغر، كيسير الرياء.

الضابط الثاني: ما نص الصحابة والسلف على أنه شرك أصغر.

الضابط الثالث: ما جاء لفظ الشرك أو الكفر غير معرف بالألف واللام، كلفظ شرك أو كفر، من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك.

الضابط الرابع: ما كان في شرك الأسباب، ما كان طريقه سبب فالأغلب أنه يكون من طريق الشرك الأصغر، كمن أثبت سببًا ليس بسبب شرعي، كالتمائم، فهي من الشرك الأصغر أو لبس الحلقة والخيط، أو عظّم سببًا هو سبب حقيقي ولكن عظمه، فهذا من الشرك الأصغر في الأغلب.

الضابط الخامس: أن يقال أنه من الألفاظ، غالبًا الشرك الأصغر في الألفاظ، كما أن الشرك الأكبر يكون في الأفعال كذلك الشرك الأصغر يكون في الألفاظ كالحلف بغير الله، أو قول: ما شاء الله وشئت أو لولا الله وفلان أو غير ذلك.

قوله: أَنَّ اَللَّهَ لَا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ، لَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ: لماذا خص المَلَك المقرب والنبي المرسل؟

الجواب: لأن هؤلاء هم أعظم المخلوقات، فأقرب المخلوقات ذاتًا إلى الله هم الملائكة، وأقرب المخلوقات إلى الله معنىً وتعبدًا هم الرسل، ولذلك خصهم المصنف ـــ رحمه الله ـــ.

قوله:وَالْدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً} [الجن: ١٨].

قوله: وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ ، ما المراد بالمساجد؟

- يحتمل أن يكون المراد بذلك دور العبادة.
- ويحتمل أن المساجد: أعضاء السجود وسواء قلنا هذا أو هذا فالمراد بذلك أن هذه الأمور لله البيوت، المساجد، أو أعضاء السجود لله ـــ عز وجل ـــ، فلا تشرك مع الله ـــ عز وجل ـــ فيها.

لذلك قال: **فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً**: أحدًا: نكرة في سياق النهي تعم كل أحد سواء كان هذا الأحد من الملائكة أو الرسل أو الصالحين أو الجن أو الجمادات فإنه لا يجوز للإنسان أن يشرك بالله ـــ عز وجل ـــ أحدًا.

والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

التسلسل العام للدروس (٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، أما بعد:

📖 **قال المؤلف ــ رحمه الله ــ: الثَّالِثَةُ: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ، وَوَحَّدَ اللَّهَ لَا يَجُوزُ لَهُ مُوَالَاةُ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }** [المجادلة/٢٢].

ذكر المصنف ــ رحمه الله ــ في هذه المسألة أن هناك ثلاث واجبات أو مسائل يجب على المؤمن أن يعرف هذه المسائل الثلاث، ولكن لو قال قائل: ما هو الدليل على أن هذه المسائل الثلاث يجب علينا أن نتعلمها؟

الجواب: لا يوجد دليل خاص في هذه المسائل وعلى تحديدها أنها ثلاث، وإنما ذكرها المصنف ــ رحمه الله ــ من باب الاستقراء والتتبع وضبط المسائل، ولكل مسألة من المسائل التي ذكر المصنف ــ رحمه الله ــ أدلة تخصها.

فالمسألة الأولى: في إثبات توحيد الربوبية، فدليلها ما ذكره المصنف ــ رحمه الله ــ.

المسألة الثانية وهي: تعظيم التوحيد والنهي عن الشرك.

المسألة الثالثة: الولاء والبراء، فلكل مسألة خاصة دليل يخصها، وهذه المسألة الثالثة يصح أن تعنون بمسألة الولاء والبراء، **ومعنى الولاء: هو المحبة والنصرة والتأييد للمؤمنين، وهو على نوعين:**

النوع الأول: ولاء قلبي، وهو بمعنى: المحبة والمودة للمؤمنين.

النوع الثاني: ولاء ظاهر، وهو بمعنى: النصرة والتأييد للمؤمنين إن كان الولاء للمؤمنين.

أما **البراء: فهو بمعنى البغض والمعاداة والمجانبة، وهو على نوعين:**

النوع الأول: براء قلبي: وهو بمعنى: البغض.

النوع الثاني: براء ظاهر وهو: الذي يكون بمعنى نصب العداوة لأعداء التوحيد.

والولاء والبراء من أعظم المسائل التي يجب على المؤمن أن يتعلمها، بل من العلماء مَن جعل الولاء والبراء ركنًا ثابتًا من أركان الدين- وإن كانت تسمية الولاء البراء ركنًا سادسًا فيه نظر -، وإنما نقتصر على الأركان الواردة في النصوص ولا نزيد على ذلك، ولكن هذا دليل على أهمية هذه المسألة، وأن الولاء والبراء من أعظم المسائل العقدية التي يجب على المؤمن أن يتعلمها ويتحلى بها، **والولاء والبراء على نوعين:**

النوع الأول: ولاء للمؤمنين، وهو أيضًا على نوعين:

١. واجب .

٢. ومستحب.

النوع الثاني: براء من الكافرين وقد يقال أنه أيضًا على نوعين:

١. واجب.

٢. مستحب.

وقيل بأن البراء إنما هو نوع واحد، براء من الكافرين وهو من الواجبات.

أما الولاء للكافرين فهو على نوعين:

النوع الأول:ولاء محرم، وهو: الذي يكون بمعنى المحبة لغرض من أغراض الدنيا، أي محبة الكافرين لغرض من أغراض الدنيا، ويكون كفرًا أكبر إذا كان بمعنى التولي أو النصرة، وهو الذي يعبر عنه بالمظاهرة، أي: مظاهرة المشركين على المؤمنين، كما قال تعالى:**{وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ} [المائدة: ٥١]**، فهذا الولاء يسمى بالتولي، ومنهم من يسميه بالمظاهرة.

والبراء، أي البراء من المؤمنين على نوعين:

النوع الأول: محرم: كمن يبغض المؤمنين، ويكون كفرًا أكبر إذا نصب العداء لهم وظاهر الكافرين على المؤمنين، كما هو المظاهرة، ومثل ذلك أيضًا يكون كفرًا إذا كان بغض الإنسان للمؤمنين لأجل إيمانهم، فإنا نقول: أن ذلك كفر بالله ـــ عز وجل ـــ.

والناس في هذه المسألة ـــ الولاء والبراء ـــ على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: من يواليهم موالاة كاملة، أي نحبهم وننصرهم ونؤيدهم تأييدًا كاملًا، كالولاء لله والرسول والصحابة وللسلف والصالحين.

القسم الثاني: من نبغضهم بغضًا كاملًا أي نعاديهم معاداة كاملة، فنبغضهم وننصب لهم العداوة والبغض، كبغضنا لإبليس والكافرين.

القسم الثالث: من يحب ويبغض على قدر ما فيه من إيمان وفسق، وهذه في حق المسلمين، فكلما كان الإنسان أقرب إلى الله وإلى طاعته فإنا نواليه أكثر، وكلما كان الإنسان أبعد من طاعة الله فإن الولاء يكون في حقه أبعد من غيره.

وهذه المسألة – أي مسألة الحب والبغض للمسلمين – ليست بالتشهي وليست بالهوى وإنما يضبط ذلك طاعة الله، فكلما كان الإنسان أقرب لله في الظاهر نحبه أكثر، وكلما كان أبعد فإنا نحبه أقل من غيره، وهذا ما أراده المصنف ـــ

رحمه الله ـــ في هذه المسألة وهي 🕮 **قوله: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ، وَوَحَّدَ اللَّهَ لَا يَجُوزُ لَهُ مُوَالَاةُ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ.**

قوله: مَنْ حَادَّ، المحاداة أي: المخالفة أو المجانبة، **مَنْ حَادَّ اللَّهَ:** أي من عادى الله.

🕮 **قال المصنف ـــ رحمه الله ـــ: وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ.**

أي لو كان من عشيرتك، من أب أو أم أو أخ أو أخت أو غير ذلك فإنه لا يجوز لنا أن نوالي هؤلاء، أي لا يجوز لنا أن نحب هؤلاء.

واختلف العلماء في مسألة وهي: محبة القريب الكافر محبة مجردة، كالأب الكافر أو الأم الكافرة أو الزوجة الكافرة هل يجوز أو لا يجوز؟.

- كثير من العلماء قال: أنه لا يجوز، لماذا؟

لأن أولئك القوم أعداء لله، والله ـــ عز وجل ـــ أمر بمعاداة هؤلاء.

- ومنهم من قال: أن هذا ولاء فطري لا يمكن للإنسان دفعه، فإنما نحبهم لأجل هذا الأمر، أي لأجل الأبوّة أو الأخوّة أو القرابة.

والأقرب: أنه لا يجوز محبة القريب الكافر أيًّا كان، ولكن يشكل على ذلك قوله تعالى:**{إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ} [القصص: ٥٦].**

فالجواب أن يقال: أي من أحببت هدايته، وليس المراد بذلك المحبة التي هي بمعنى المودة، وإنما المراد من أحببت هدايته.

🕮 **قال المصنف ـــ رحمه الله ـــ: اِعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللَّهُ لِطَاعَتِهِ: أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ، مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ، وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللَّهُ جَمِيعَ النَّاسِ، وَخَلَقَهُمْ لَهَا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَمَا خَلَقتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات:٥٦]، وَمَعْنَى (يَعْبُدُونِ): يُوَحِّدُونِ، وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ التَّوْحِيدُ، وَهُوَ: إِفْرَادُ اللَّهِ بِالْعِبَادَةِ. وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْهُ الْشِّرْكُ، وَهُوَ: دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ، وَالْدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً } [النساء:٣٦].**

سبق الكلام على كلمة: **اِعْلَمْ** وهي فعل أمر من العلم، وجاء بها للتنبيه أي: كن متهيئًا لهذا الأمر، وأدرك هذا الأمر إدراكًا جازمًا.

قوله: اِعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللَّهُ لِطَاعَتِهِ: الرشد: ضد الغي، وهو: إصابة الخير، ويكون ذلك بلزوم الاستقامة وبلزوم الكتاب والسنة.

قوله: أرشدك الله لطاعته: أي جعلك مستقيمًا على طاعته، أو بيّن لك طاعته.

قوله: أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ: الحنيف أصله الميل، والمراد: الميل عن الشرك إلى التوحيد.

مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ:الملة بمعنى الدين، وتكون بمعنى المذهب أو الطريقة، إبراهيم هو: خليل الرحمن، وأصل إبراهيم كلمة من جزئين: أب رحيم، فجمعت إبراهيم.

لماذا تنسب الملة إلى إبراهيم، ولا يقال ملة نوح أو ملة هود أو ملة موسى، وإنما يقال: ملة إبراهيم؟

العلة في ذلك:

أولاً: أن الله عز وجل نسب الملة لإبراهيم فنحن نقتدي ونتأسّى بكلام الله ـــ عز وجل ـــ فننسب الملة إلى إبراهيم، كما في قوله تعالى: **{أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا} [النحل: ١٢٣]**.

ثانيًا: أن إبراهيم ـــ عليه السلام ـــ مِن أقوى مَن قام بالتوحيد، فإكرامًا له تنسب له الملة.

ثالثًا: أنه أب للأنبياء من بعده، لذلك تنسب له الملة، ويصح أن تنسب الملة إلى ملة محمد أو ملة موسى أو ملة عيسى أي بمعنى: الدين.

قوله: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ، مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ، وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللَّهُ جَمِيعَ النَّاسِ، وَخَلَقَهُمْ لَهَا.

هذا هو معنى التوحيد، التوحيد هو: إفراد الله بالعبادة، وهو مراد المصنف ـــ رحمه الله ـــ بقوله: **أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ، مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ** ، وذلك هو التوحيد الذي هو إفراد الله بالعبادة، وبذلك أمر الله جميع الناس.

قوله: وَخَلَقَهُمْ لَهَا: أي لأجل التوحيد، ويدل على ذلك قوله تعالى:**{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات: ٥٦]**، ومعنى يعبدون أي: يوحدون، قال ابن عباس ـــ رضي الله عنه ـــ: كل عبادة في القرآن فهي بمعنى التوحيد، فمعنى: **{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات: ٥٦]**، أي: إلا ليوحدون، **{وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ} [النحل: ٣٦]**، أي: وحدوا الله.

قوله: وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ التَّوْحِيدُ، وَهُوَ: إِفْرَادُ اللَّهِ بِالْعِبَادَةِ.

وأعظم ما أمر الله به التوحيد، أي أعظم أمر وأول أمر وأكبر أمْر أمَر الله به هو التوحيد، ويدل على ذلك النصوص في الكتاب والسنة وهي كثيرة، كما في قوله تعالى: **{وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ} [النحل: ٣٦]** وقال النبي ﷺ: **[بني الإسلام على خمس]** وذكر أول هذه الخمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وهذا يدل على أن أعظم مسألة هي مسألة التوحيد وأن الإنسان لا يستكثر على نفسه أن يقرأ في التوحيد، ويتدارس مسائل التوحيد، حتى لو فهم هذه المسائل فإنه ينبغي له أن يُبثها أمام الناس فيبين للناس ويوضح للناس هذه المسائل العظيمة؛ لأن الخطأ في التوحيد ليس كغيره، فالإنسان قد يخطئ في التوحيد فينتقل هذا الرجل من الإسلام إلى الكفر، إن كان خطأه تفريطًا منه، أما مسألة العذر بالجهل فهذا شيء آخر.

قوله: وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ التَّوْحِيدُ، وَهُوَ: إِفْرَادُ اللَّهِ بِالْعِبَادَةِ.

التوحيد هو: إفراد الله بالعبادة، وأصل التوحيد من وحد الشيء إذا أفرده، **والتوحيد على ثلاثة أنواع:**

النوع الأول: توحيد الربوبية.

النوع الثاني: توحيد الألوهية.

النوع الثالث: توحيد الأسماء والصفات.

فتوحيد الربوبية هو: إفراد الله بالخلق والملك والرزق والإحياء والإماتة، أو تقول: هو إفراد الله بأفعاله.

وتوحيد الألوهية: هو إفراد الله بالعبادة، أو تقول: هو توحيد الله بأفعال العباد.

وتوحيد الأسماء والصفات: هو توحيد الله بأسمائه وصفاته، أو تقول: إفراد الله بأسمائه وصفاته، أو إثبات ما ثبت لله من أسماء وصفات.

وهذا التقسيم للتوحيد إنما قسمه العلماء من باب الاستقراء، فنظروا في الكتاب والسنة فوجدوا أن التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام، ويمكن للإنسان أن يقسم التوحيد إلى أقسام كثيرة، فيقول: توحيد الاتباع، وتوحيد التوكل، وتوحيد الرجاء، وتوحيد الإنابة، أي بمعنى إفراد الله بالاتباع، إفراد الله بالإنابة، إفراد الله بالتوكل، إفراد الله بالرجاء، إفراد الله بالحكم، وغير ذلك، ولكن العلماء نظروا أن هذه الأشياء متضمنة لأنواع التوحيد أو أنها داخلة في أنواع التوحيد الثلاثة، وإن كان بعض العلماء أفرد أنواعًا، كتوحيد الاتباع، وبعض المعاصرين أيضًا زاد نوعًا بقولهم توحيد الحاكمية، **ولكن توحيد الحاكمية يدخل في توحيد الربوبية، وأيضًا يدخل في توحيد الألوهية**، أي له تعلق في ذلك.

📖 **قال المصنف ــ رحمه الله ــ: وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْهُ الْشِّرْكُ، وَهُوَ: دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ، وَالْدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً } [النساء:٣٦].**

الشرك مأخوذ من التشريك، وهو الزوج ضد الإفراد، فالتوحيد من الإفراد، والشرك من الزوج، **والشرك هو: أن تجعل لله ندًّا، وهو على ثلاثة أنواع:**

النوع الأول: الإشراك في الربوبية.

النوع الثاني: الإشراك في الألوهية.

النوع الثالث: في الأسماء والصفات.

كما أن التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام أيضًا نقول: أن الشرك ينقسم إلى ثلاثة أقسام، ولكن لما تنظر إلى تعريف العلماء للتوحيد وتعريف العلماء للشرك تجدهم يخصون نوعًا واحدًا وهو توحيد الألوهية، وأيضًا الشرك في الألوهية، لماذا؟

الجواب: لأن توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات الأصل أن الناس كانوا يوحدون، ولا ينكر هذا النوع إلا من استكبر، فمثلًا: توحيد الربوبية لم ينكره أحد إلا من كان مستكبرًا كفرعون، أما لو تُرك الناس إلى فطرهم لآمنوا بذلك، لذلك الخلاف في توحيد الربوبية قليل، ومثل ذلك أيضًا توحيد الأسماء والصفات، فإن مَن أنكره قليل، فالعرب

كانت تؤمن إجمالًا بتوحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات، وإن كان بعضهم ينكر بعض أجزاء أو بعض مسائل هذه الأقسام.

ولم يُعرف إنكار توحيد الأسماء والصفات إلا حين دخل علم الكلام، فلما دخل علم الكلام أنكر أهل الكلام توحيد الأسماء والصفات، فظهرت الطوائف المعروفة كالجهمية والمعتزلة والأشاعرة والكلابية والسالمية ونحوهم، ممن ينكرون الأسماء أو الصفات جميعًا أو ينكر بعضها، وأهل الكلام في إنكار الأسماء والصفات درجات:

- منهم من ينكر الأسماء والصفات جميعًا كالجهمية.
- ومنهم من يثبت الأسماء وينكر الصفات كالمعتزلة.
- ومنهم من يثبت الأسماء وجزء من الصفات، سبع صفات أو عشرين صفة أو أربعين صفة على خلاف بينهم كالأشاعرة والكلابية والسالمية.

قوله: وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْهُ الْشِّرْكُ، وَهُوَ: دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ.

هذا تعريف للشرك ولكنه تعريف بالمثال، **والأضبط أن يقال: أن الشرك كما عرفه النبي ــ ﷺ: [أن تجعل لله ندًّا]**، ويشمل في ذلك أن تجعل لله ندًّا في الربوبية، أو أن تجعل لله ندًّا في الألوهية أو أن تجعل لله ندًّا في الأسماء والصفات، ولكن حيث أن الكتاب يناقش موضوعًا مهمًّا في وقته؛ حيث أراد المصنف ــ رحمه الله ــ أن يبين للناس ما وقعوا فيه من شرك، وذكر أن الشرك هو صرف الدعاء لغير الله ــ عز وجل ــ، لذلك قال: **وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْهُ الْشِّرْكُ، وَهُوَ: دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ**، فمن يدعو الأموات أو الأصنام أو الغائبين أو الملائكة فهو مشرك.

والدليل على أن أعظم الواجبات التوحيد وأعظم المنهيات الشرك قوله تعالى: **{وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً }** [النساء:٣٦].

قوله: وَاعْبُدُوا اللَّهَ: أي: وحدوا الله؛ لأن كل عبادة في القرآن فهي بمعنى التوحيد.

قال المصنف ــ رحمه الله ــ: فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الْأُصُولُ الْثَّلَاثَةُ الْتِّي يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا؟

فَقُلْ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ، وَدِينَهُ، وَنَبِيَّهُ مُحَمَّداً ﷺ .

قوله: فَإِذَا قِيلَ لَكَ، أي: إذا قال لك قائل، وهذه الطريقة هي طريقة السؤال والجواب وهي طريقة من طرق التعليم، وهي طريقة نبوية، كان النبي ــ ﷺ يُعلّم الصحابة أحيانًا عن طريق السؤال والجواب، ويدل على ذلك حديث جبريل حينما جاء إلى النبي ــ ﷺ ــ فسأله فكان سؤالًا وجوابًا من باب التعليم، وهذا أسلوب تشويقي فيه فائدة وطرد للملل عن المستمعين، كذلك تشويق المستمع إلى الجواب.

قوله: مَا الْأُصُولُ الْثَّلَاثَةُ الْتِّي يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا؟.

الأصل هو ما يبنى عليه غيره.

وقوله: الْثَّلَاثَةُ: أي التي دل عليها الكتاب والسنة أنها ثلاثة، وهي **من ربك؟ من نبيك؟ ما دينك؟**.

قد يقول قائل: هل يوجد دليل على أن هذه تسمى بالأصول الثلاثة؟

نقول: لا ، وإنما جاء المصنف ــ رحمه الله ــ فسماها بالأصول الثلاثة، نظرًا إلى أنها من أهم الأسئلة، وأعظم الأسئلة التي يُسأل عنها الإنسان، وخاصة في قبره، ويدل على ذلك حديث ابن عمر في الصحيح، وكذلك حديث البراء في الترمذي وغيره، وهذه الأسئلة الثلاث يصح أن تعنون بالأصول الثلاثة، أو يقال لها الأصول الثلاثة؛ لأن من صحت منه صح منه عمله، ومن ردت منه و لم تُقبل لم يقبل عمله، وقلنا لكم بأن الأصل هو الذي يبنى عليه غيره، فإذا قيل لك ما الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها ؟

فقل: معرفة العبد ربه ودينه ونبيه محمد ــ ﷺ ــ.

قوله: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ، وَدِينَهُ، وَنَبِيَّهُ مُحَمَّداً ﷺ : ذكر هذه المسائل إجمالًا وهذا من بـــاب التشـــويق في التعلـــيم، وسيذكر فيما بعد هذه المسائل تفصيلًا.

📖 **قال المصنف ــ رحمه الله ــ: فَإِذَا قِيلَ لَكَ:مَنْ رَبُّكَ؟ فَقُلْ: رَبِّيَ الْلَّهُ الَّذِي رَبَّانِي وَرَبَّى جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنعَمِهِ، وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ؛ وَالْدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: { الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}** [الفاتحة:٢]. **وَكُلُّ مَنْ سِوَى الْلَّهِ عَالَمٌ، وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ.**

من القائل؟

الجواب: إنما هذا من باب التشويق والتعليم عن طريق السؤال والجواب، أي: إذا قال لك قائل أيًّا كان.

قوله: فَإِذَا قِيلَ لَكَ:مَنْ رَبُّكَ؟: أي: من الذي خلقك؟ من الذي أوجدك؟ من الذي رباك؟ من الذي أطعمك؟ من الذي أعطاك؟

قوله: فَقُلْ: رَبِّيَ الْلَّهُ الَّذِي رَبَّانِي وَرَبَّى جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنعَمِهِ: أي: فقل ربي الله، غاير بينهم، الرب الأصل أنه بمعنى الملك والسيد المطاع، **رَبِّيَ الْلَّهُ:** أي: ربي هو الله المألوه المعبود ليبين لك أن الربوبية والألوهية بينهما تلازم، لذلك قال تعالى: **{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ }** [البقرة: ٢١]، فقال: **اعْبُدُوا رَبَّكُمُ:** أي بمعنى: أن الربوبية لا تنفك عن الألوهية، والألوهية مستلزمة للربوبية.

قوله: فَقُلْ: رَبِّيَ الْلَّهُ الَّذِي رَبَّانِي: أي أوجدني من العدم وأعطاني ورزقني، وربى جميع العالمين بنعمته، ونعم الله لا تعد ولا تحصى فهي كثيرة جدًّا.

قوله: وَهُوَ مَعْبُودِي:أي الرب هو معبودي، ولكن هل الرب من معانيه أنه المعبود؟

الجواب: لا، إنما الرب من معانيه: الملك المتصرف المربي السيد وغير ذلك، ولكن هذه الربوبية تستلزم العبادة، لذلك قال تعالى: **{اعْبُدُوا رَبَّكُمُ }** [البقرة: ٢١]، أي: إذا كنتم تؤمنون بهذا الرب الملك السيد المطاع فإنه يجب عليكم أن تعبدوه.

قوله: لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: { الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الفاتحة:٢].

رب العالمين أي: مالك العالمين، أو موجد العالمين أو مربي العالمين، أو سيد العالمين وهو الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ.

قوله: وَكُلُّ مَنْ سِوَى اللَّهِ عَالَمٌ: عالم : اسم جمع لا مفرد له.

قوله: وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ: أي أنا فرد من أفراد ذلك العالم، جمعه عوالم، والعوالم تختلف باختلاف الذوات، لذلك يقال عالم الملائكة، وعالَم الجن، وعالم الإنس، وغير ذلك.

📖 **قال المصنف ـــ رحمه الله ـــ: فَإِذَا قِيلَ لَكَ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟**

بعد ما قرر المصنف ـــ رحمه الله ـــ أنك مؤمن لله وأنه يجب عليك أن تعتقد أن الله رب جميع العالمين انتقل إلى الدلالة أو البينة أو البرهان على إثبات هذا الرب ـــ سبحانه وتعالى ـــ، فقال: **فَإِذَا قِيلَ لَكَ** أي: قال لك قائل: **بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟**

أي: ما هي البينة أو الدليل أو البرهان على هذا الأمر؟

📖 **قال المصنف ـــ رحمه الله ـــ: فَقُلْ: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ، وَمِنْ آيَاتِهِ: اللَّيْلُ، وَالنَّهَارُ، وَالشَّمْسُ، وَالْقَمَرُ، وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ: السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ، وَالْأَرَضُونَ السَّبْعُ، وَمَنْ فِيهِنَّ، وَمَا بَيْنَهُمَا؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ}** [فصلت:٣٧] ، **وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ }** [الأعراف:٥٤].

الآيات: جمع آية وهي البرهان والحجة **وهي على نوعين:**

النوع الأول: آيات شرعية كالقرآن.

النوع الثاني: آيات كونية كالسماء والأرض والجبال.

قوله: وَمَخْلُوقَاتِهِ:المخلوق: كل من سوى الله فهو مخلوق، أي كل موجود غير الله وأسمائه وصفاته فهو مخلوق، وإذا كان مخلوقًا فهو آية من آيات الله ـــ عز وجل ـــ التي تدل على وجود الله ـــ سبحانه ـــ، ولكن ما الفرق بين الآية وبين المخلوق؟

- من العلماء من قال: لا فرق بينهما، فكل آية بمعنى الخلق، أي بمعنى أنها مخلوقة، والمراد في ذلك الآيات الكونية، ويكون المخلوق أيضًا آية.
- وهناك من قال: هناك فرق في التسمية، فالآية هي الشيء المتغير أو المتجدد يقال: آية، كالليل والنهار والشمس والقمر، متجددة فتكون آيات، أما المخلوقات فهي الأشياء الثابتة كالسماء والأرض.

ولكن الأظهر في ذلك أن يقال: أنهما بمعنى واحد، فالآية قد تكون مخلوقة إن كانت كونية، والمخلوق آية من آيات الله ـــ عز وجل ـــ، ولكن المصنف ـــ رحمه الله ـــ فرق بينهما أو جاء بهذين اللفظين موافقًا للآية الكريمة التي ذكرها وهي: **{وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ}** [فصلت:٣٧].

قوله: وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ: الْسَّمَاوَاتُ الْسَّبْعُ، وَالْأَرَضُونَ الْسَّبْعُ، وَمَنْ فِيهِنَّ، وَمَا بَيْنَهُمَا؛ وَالْدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} [فصلت:٣٧]: فسمى الليل والنهار آيات.

📖 **قال المصنف ـــ رحمه الله ـــ: وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ }** [الأعراف:٥٤].

فوصفهما بالخلق، لذلك المصنف ـــ رحمه الله ـــ جاء بهذا التعبير، وإن كنا نقول: أن الآية الكونية مخلوقة، فالمخلوق الكوني أيضًا هو آية من آيات الله التي تدل على وجود الله ـــ عز وجل ـــ.

📖 **قال المصنف ـــ رحمه الله ـــ: وَالْرَّبُّ هُوَ: الْمَعْبُودُ؛ وَالْدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَأَيُّهَا النَّاسُ اعبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم وَالَّذِينَ مِن قَبلِكُم لَعَلَّكُم تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الْثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعلَمُونَ}** [البقرة:٢١،٢٢].

قوله: وَالْرَّبُّ هُوَ: الْمَعْبُودُ : الأصل أن الرب يكون بمعنى: السيد أو الخالق أو المالك، ولكن قال المصنف: هو المعبود أي: المستلزم العبادة، فالرب يكون ربًّا؛ لأنه يستحق ويجب على الإنسان أن يعبده في ذلك، لذلك قال تعالى: **{يَأَيُّهَا النَّاسُ اعبُدُوا رَبَّكُمُ }** [البقرة:٢١] لماذا نعبده؟

لأنه الرب؛ لأنه الخالق؛ لأنه السيد ـــ سبحانه وتعالى ـــ والدليل قوله تعالى**{يَأَيُّهَا النَّاسُ اعبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم}** [البقرة:٢١].

📖 **قال المصنف ـــ رحمه الله ـــ: قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ –رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–: الْخَالِقُ لِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ.**

الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة، هذا اللفظ الذي ذكره الإمام ـــ رحمه الله ـــ وساقه، ساقه بالمعنى، وإلا لما ترجع إلى كلام الإمام فهو قريب من هذا اللفظ.

📖 **قال المصنف ـــ رحمه الله ـــ: وَأَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا مِثْلُ: الْإِسْلَامِ، وَالْإِيمَانِ، وَالْإِحْسَانِ، وَمِنْهُ: الدُّعَاءُ، وَالْخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ، وَالتَّوَكُّلُ، وَالرَّغْبَةُ، وَالرَّهْبَةُ، وَالْخُشُوعُ، وَالْخَشْيَةُ، وَالْإِنَابَةُ، وَالْاِسْتِعَانَةُ، وَالْاِسْتِعَاذَةُ، وَالْاِسْتِغَاثَةُ، وَالذَّبْحُ، وَالنَّذْرُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا، كُلُّهَا لِلَّهِ تَعَالَى؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً}** [الجن:١٨].

مناسبة هذه الجملة لما سبق: أنه لما ذكر الرب وعرفه وأوجب العبادة انتقل إلى العبادة، فالمناسبة ظاهرة لأنه لما ذكر الرب والإيمان به ذكر ما يستلزم على ذلك وهو العبادة أي عبادة الرب ـــ سبحانه وتعالى ـــ لذلك قال: **وَأَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا مِثْلُ: الْإِسْلَامِ، وَالْإِيمَانِ، وَالْإِحْسَانِ.**

والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

التسلسل العام للدروس (٣)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، أما بعد:

قال المؤلف ــ رحمه الله ــ: وَأَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا مِثْلُ: الْإِسْلَامِ، وَالْإِيمَانِ، وَالْإِحْسَانِ، وَمِنْهُ: الدُّعَاءُ، وَالْخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ، وَالْتَوَكُّلُ، وَالرَّغْبَةُ، وَالرَّهْبَةُ، وَالْخُشُوعُ، وَالْخَشْيَةُ، وَالْإِنَابَةُ، وَالْاِسْتِعَانَةُ، وَالْاِسْتِعَاذَةُ، وَالْاِسْتِغَاثَةُ، وَالذَّبْحُ، وَالنَّذْرُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا، كُلُّهَا لِلَّهِ تَعَالَى؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً} [الجن:١٨].

بعد أن ذكر المصنف – رحمه الله تعالى – الرب –سبحانه و تعالى – ومعرفة الرب، ذكر ما يستحق الرب من العبادة لذلك قال: **وَأَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا.**

قوله: وَأَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ: العبادة بمعنى التذلل والخضوع، لذلك يقال طريق مُعبّد أي مُذلل.

والعبادة تأتي على نوعين أو تطلق على نوعين:

النوع الأول: إذا أريد بذلك المصدر فيراد به التعبد لله – عز و جل – أي بمعنى فعل العابد، وفعل العابد الذي يكون مقرونًا بالمحبة والذل، لذلك يقول ابن تيمية – رحمه الله تعالى– : العبادة أن تجمع كمال الحب والذل، أي بمعنى فعل العابد، لا بد أن يكون العابد عنده ذل وعنده محبة لله – عز و جل –.

النوع الثاني: وتطلق العبادة ويراد بها المتعبد به، وهذه التي يتكلم عنها أكثر العلماء ويعرفونها، ومن أحسن التعريفات ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى – : العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، والعبادة أنواعها كثيرة، هناك أعمال وهناك أنواع للعباات منها: عبادات قلبية، وعبادات بدنية وعبادات مالية، وهناك عبادات جمعت بين هذه الأشياء أي قلبية وبدنية ومالية كالحج والجهاد وغير ذلك .

العبادة أيضًا منها ما يكون مختصًا بأعمال الظاهر، ومنها ما يكون مختصًا بأعمال الباطن أي تختص بالقلب كالخوف والرجاء، ومنها ما يكون عمل ذلك إنما هو في الظاهر وله ارتباط بالباطن كالصلاة والذكر وغير ذلك.

كما أن العبادة منها عبادات اعتقادية ومنها عبادات عملية، وعلى ذلك فالعبادات أنواعها كثيرة، لذلك ذهب بعض العلماء أن أنواع العبادة نحو من ثلاثمائة نوع، بل بعد العلماء أوصل أنواع العبادة إلى ألف نوع .

قوله: الْإِسْلَامِ، وَالْإِيمَانِ، وَالْإِحْسَانِ: كأن المصنف – رحمه الله تعالى – يقول أن هذه من أنواع العبادة، ولكن يشكل على ذلك أن العلماء يقولون بأن هذه تسمى مراتب الدين، فكيف تدخل في العبادة ؟

الجواب: أن يقال أن مراد المصنف هنا آحاد أي أفراد هذه المراتب أي أفراد الإسلام وأفراد الإيمان وأفراد الإحسان، قال بأن كل عمل تعبدي هو داخل في هذه الأشياء أو في هذه المراتب الثلاثة.

وعلى كل نقول أن التسمية لها بالمراتب – مراتب الدين – أو بأنواع العبادة هذا من باب الاصطلاح ولا مشاحة في الاصطلاح.

قوله: وَمِنْهُ: الْدُّعَاءُ: المصنف هنا قال : ومنه الدعاء، فأيهما أحسن نقول منها أو منه؟

الجواب: منه أي الدين فقط هو تكلم عن ذكر الدين و قال : وأنواع العبادة منه ، منها أي يرجع الضمير إلى العبادة أي من العبادة، على كل نقول الأمر في ذلك سهل، إما أن نقول منه أي و من أنواع الدين أو مراتب الدين، أو يقال منها أي من العبادة لذلك في بعد النسخ منها وفي بعضها منه، والأمر في ذلك أيضًا نقول أنه سهل .

بدأ المصنف – رحمه الله تعالى – بذكر الدعاء والخوف والرجاء والتوكل وغير ذلك، فذكرها إجمالًا ثم بعد ذلك انتقل إلى التفصيل وقال في نهاية هذه الجملة:

📖**قال المؤلف ــ رحمه الله ــ: فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئاً لِغَيْرِ اللَّهِ، فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ.**

قوله: فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئاً لِغَيْرِ اللَّهِ: أي صرف شيئًا من العبادة لغير الله، فمن يصلي لقبر أو لصنم أو يذبح أو يرجو النفع و الضر من هذه الأشياء فإنا نقول بأنه يكون بذلك كافر مشرك.

قوله: فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ :هل هناك فرق بين الكفر والشرك أو هما بمعنى واحد ؟

هذه مسألة اختلف العلماء فيها:

- فمن العلماء مَن فرق.
- ومنهم من لم يفرق، وسيأتي – إن شاء الله – تفصيل ذلك في كتاب الطحاوية.

وخلاصة القول: أنا نقول أن الكفر أعم من الشرك.

📖**قال المؤلف ــ رحمه الله ــ: وَالَّدلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:{وَمَن يَّدْعُ مَعَ اَللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُون }** [المؤمنون:١١٧]، **وَفِي الْحَدِيثِ: [الْدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ]. وَالْدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ}** [غافر:٦٠].

لماذا بدأ المصنف – رحمه الله – بالدعاء – أي جعل الدعاء أول أنواع العبادة – ؟

الجواب: لأن الدعاء يعتبر من أهم وأعظم أنواع العبادات، لذلك ورد في الحديث أن النبي ﷺ ذكر : **[الدعاء هو العبادة]**.

قوله: [الْدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ]: المصنف – رحمه الله تعالى – جاء بهذا الحديث وهو حديث ضعيف. **ومعنى مُخُّ الْعِبَادَةِ:** أي لبّها و عصبها، و لو جاء بالحديث الآخر: **[الدعاء هو العبادة]**؛ لكان أولى وأحسن لأنه أصح .

والدعاء على نوعين :

النوع الأول: دعاء مسألة: وهو ما صُدِّر بياء النداء ونحوها كقول الإنسان – مثلًا –: يا الله يا رحمن يا رحيم ثم بعد ذلك يدعو: اغفر لي و ارحمني، هذا يسمى دعاء مسألة.

النوع الثاني: دعاء عبادة: وهو كل فعل يقوم على الحب والذل، فهذا يقال أنه دعاء ولكنه دعاء عبادة.

وعلى ذلك:

- **هل الصلاة دعاء عبادة أو دعاء مسألة ؟**

الجواب: الصلاة دعاء عبادة، لماذا؟

الجواب: لأنها قائمة على الحب والذل.

- **هل الذكر قراءة القرآن دعاء عبادة أو دعاء مسألة؟**

الجواب: الذكر وقراءة القرآن دعاء عبادة، لماذا؟

الجواب: لأنهما قائمان على الذل وكذلك المحبة.

- **هل القنوت دعاء عبادة أو دعاء مسألة؟**

الجواب: القنوت دعاء مسألة.

وعلى كل نقول أن دعاء المسألة أيضًا قائم على الحب والذل فهو داخل في دعاء العبادة، ولكن هنا في كلام المصنف أو ذكره لمسألة أنواع العبادات ومنها الدعاء ثم ذكر الأدلة، هل نصرفها لدعاء العبادة أو دعاء المسألة أو نقول أنه يشمل؟

الجواب: الدعاء يشمل دعاء العبادة ودعاء المسألة، ودائمًا إذا جاء النص في القرآن أو السنة وهو يحتمل لفظين لا يخالف أحدهما الآخر فالأولى أن نأخذ بهما، أي نفسر هذا اللفظ باللفظين أو بالمعنيين إن لم يكن بينهما خلاف في ذلك أو تضاد .

📖**قال المؤلف ــ رحمه الله ــ: وَدَلِيلُ الْخَوْفِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}** [آل عمران:١٧٥].

تألم القلب واحتراقه لتوقع مكروه في المستقبل، يقال له خوف، ولكن هل هذا هو فعلًا الخوف ؟

الجواب: هناك قاعدة عند العلماء يقولون فيها أن أعمال القلوب كالخوف و الرجاء والإنابة والتوكل وغير ذلك من الأعمال لا يمكن لأحد أن يحدها بحد أوضح من لفظها، لأن الإنسان العربي يعرف هذه الكلمة، فحينما تقول فلان خائف فأنت تعرف معنى الخوف، ولكن هذه التعريفات التي يذكرها العلماء تكون تقريبًا للمعنى وإلا حقيقة الخوف نقول أنه الخوف، والرجاء هو الرجاء، والتوكل هو التوكل، لأن الإنسان العربي يفهم معنى هذه الكلمة، ولكن العلماء

جاءوا بألفاظ تقرب هذا المعنى، لذلك يقول ابن القيم – رحمه الله تعالى– حينما تكلم عن المحبة قال : ولا تحد بحد أوضح من لفظها، فالحب هو الحب، و كذلك الخوف هو الخوف، ولكن العلماء جاءوا بهذه التعريفات تقريبًا للمعنى .

والخوف يأتي على أنواع :

النوع الأول: الخوف الطبيعي كالخوف من السبب فهذا لا يلام عليه الإنسان وهذا خوف فطري، كما قال الله – عز و جل – عن موسى : {فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ} [القصص: ٢١].

النوع الثاني: خوف السر وهو أن يخاف الإنسان ممن لا يستحق الخوف كالخوف من الأصنام أو الغائبين أو الأموات فهذا النوع من الخوف شرك بالله – عز و جل –.

النوع الثالث: الخوف التعبدي وهو الخوف من الله، وحد الخوف هو ما يصرفك عن المحرمات، فالرجل الذي ينصرف عن المحرمات ويفعل الواجبات نقول أن هذا خائف من الله.

والمصنف – رحمه الله تعالى – جاء بالخوف ليبين لك أن الخوف نوع من أنواع العبادة.

قال المؤلف ــ رحمه الله ــ: وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَــا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً }[الكهف:١١٠].

أي ودليل الرجاء أي أنه من أنواع العبادة، قوله تعالى : **{فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ }**[الكهف:١١٠]، الرجاء تعريفه كما قلنا لكم أنه أن يقال الرجاء هو الرجاء ولكن من باب التقريب الرجاء هو الطمع فيما عند الله، أن يطمع الإنسان برحمة الله بعفو الله نقول أن هذا راج، والرجاء يكون توحيدًا إذا كان لله – عز و جل –، فالذي يرجو الله يكون موحدًا.

أما رجاء المخلوقين:

- كان هذا المخلوق من الغائب: كالأموات والجن، أو من الجمادات: كالأصنام.
- أو كان هذا الرجاء لا يكون إلا لله كمغفرة الذنوب ودخول الجنة.

فمن صرف هذا الرجاء لغير الله فهو مشرك.

وعلى ذلك: فالرجاء منه ما يكون توحيدًا ومنه ما يكون عبادة ومنه ما يكون شركًا بالله – عز و جل –.

والمصنف هنا جاء بالرجاء بعد ذكر الخوف ليبين أن المؤمن تعبده قائم بين الرجاء والخوف، لذلك يقول ابن القيم – رحمه الله تعالى –: الخوف والرجاء كجناحي الطائر – ومأثور عن أحمد وغيره– أيهما غلت هلك صاحبه.

وعلى ذلك أيهما يُقدَّم الرجاء أو الخوف ؟

الجواب: المسألة فيها خلاف:

- من العلماء من قال: لا بد من استواء الأمرين الخوف والرجاء.

- ومنهم من قال: يُقدّم الخوف لأنه أدعى لفعل العبادة.
- ومنهم من قال: يُقدّم الرجاء لأنه أقرب إلى رحمة الله وطمعًا فيما عند الله.
- ومنهم من قال في حال الصحة نقدم الخوف، وفي حال المرض نقدم الرجاء.

ولكن الأظهر والأقرب أن يقال: يختلف باختلاف العبد، والإنسان طبيب نفسه فإن كان الرجاء أدعى لفعل العبادة قدّم الرجاء، وإن كان الخوف أدعى لفعل العبادة قدّم الخوف، فالناس تختلف و قلوب الناس من قوة وضعف تختلف، فمن الناس من لو قدّم الرجاء لم يفعل عبادة وارتكب الفواحش فهذا يُقدّم الخوف، ومنهم من لو قدّم الخوف ليأس من رحمة الله و ترك التعبد لله – عز و جل – فهذا يقدّم الرجاء، **ولكن عند الموت لابد من تقديم الرجاء** لأن النبي ﷺ قال: **[لا يموتن أحد إلا وهو يحسن الظن بربه]**،يحسن الظن أنه الله سيغفر ويعفو ويصفح له، يحسن الظن أن الله يعامله بكرم وبلطف وهذا من إحسان الظن بالله – عز و جل – .

📖**قال المؤلف ــ رحمه الله ــ: وَدَلِيلُ الْتَوَكُّلِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}**[المائدة:٢٣] ، **وقوله: {وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ }**[الطلاق:٣].

وَدَلِيلُ الْخَشْيَةِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي}[البقرة:١٥٠] .

ودليل التوكل، أي أنه من العبادة، والتوكل هو صدق الاعتماد على الله بجلب المطلوب ودفع المكروه، مع فعل الأسباب التي أذن الشارع بها، فهذا يسمى توكلًا حقيقيًا أو توكلًا شرعيًا، **والتوكل يأتي على أنواع:**

النوع الأول: التوكل الشرعي، وهو ما ذكرنا.

النوع الثاني: التوكل الشركي كمن يتوكل على الغائبين أو الأموات.

النوع الثالث: التوكل الجائز كالذي يكون بمعنى الوكالة كأن يُوَكل الإنسان شخصًا في بيع أو شراء أو غير ذلك.

وعلى كل تفاصيل هذه المسائل أي مسألة الخوف والرجاء كذلك التوكل وما سيأتي تفاصيل ذلك – إن شاء الله – سيأتيكم في كتاب التوحيد مفصلًا ولكن هذه إشارات .

📖**قال المؤلف ــ رحمه الله ــ: وَدَلِيلُ الْرَّغْبَةِ، وَالْرَّهْبَةِ، وَالْخُشُوعِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ}**[الأنبياء:٩٠].

الرغبة والرهبة والخشوع أعمال متقاربة في المعاني لكنها تختلف أحيانًا في الدرجات، فالرغبة قريبة من معنى الرجاء، فهي الطمع فيما عند الله – عز و جل – ، والرهبة قريبة من معنى الخوف، والخشوع هو سكون القلب والجوارح، والرغبة والرهبة والخشوع من أنواع التعبد لله – عز و جل –

📖**قال المؤلف ــ رحمه الله ــ: وَدَلِيلُ الْإِنَابَةِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ} الآية** [الزمر:٤٥].

الإنابة هي بمعنى الرجوع، وتكون بمعنى التوبة، إلا أنها متضمنة معنى السرعة، **{نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ}** [ص: ٣٠] أي رجّاع، **{وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ }** [الزمر: ٥٤]، أي ارجعوا إلى ربكم، فهي بمعنى التوبة ولكنها متضمنة معنى الإسراع بالرجوع إلى الله – عز و جل – .

قال المؤلف ــ رحمه الله ــ: وَدَلِيلُ الْاِسْتِعَانَةِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة:٥]، **وَفِي الْحَدِيثِ: [إِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ]**.

الاستعانة قريبة من معنى التوكل على الله – عز و جل –، والاستعانة هي طلب العون من الله، وطلب العون من الله – عز و جل – من الأمور العظيمة التي ينبغي على الإنسان أن يراعي فيها حاله، لذلك ذكر الله – عز و جل – في أعظم سورة في القرآن قوله تعالى : **{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}** [الفاتحة:٥]، وهذا نغفل عنه كثيرًا –طلب العون –، فالمؤمن عند الصلاة وعند الصيام وعند الجهاد وعند طلب العلم وعند كل فعل من الأفعال ينبغي له أن يستعين بالله – عز وجل –، أي يطلب العون من الله، والناس في التعبد **والاستعانة على أربعة أنواع:**

النوع الأول: من يعبد الله أي يصلي ويصوم ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويجاهد في سبيل الله ثم بعد ذلك يستعين بهذه الأشياء أي يطلب من الله أن يعينه على القيام بهذه الأفعال، فهؤلاء هم أكمل الناس من يعبد الله ويستعين بالله على فعل الطاعات، لذلك قال النبي ﷺ لمعاذ : **[والله إني لأحبك فلا تدعن دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعني]** ، فأنت تطلب من الله العون لأن العون إذا انقطع عن العبد لا يستطيع أن يفعل شيئًا ، لذلك نشاهد من الناس من يبدأ في حفظ القرآن شهر أو شهرين أو ثلاثة فيعتمد على نفسه ثم بعد ذلك ينقطع، فلا يستطيع أن يحفظ القرآن مع أنه يحفظ من الشعر والأقوال و لأمثال وغير ذلك الشيء الكثير، ولكن انقطعت الإعانة عنه في حفظ القرآن، ومثل الصلاة ومثل الصيام وغير ذلك، ومثل ذلك أيضًا طلب العلم، فينبغي للإنسان إذا قدم وحفظ كتابًا أو حضر درسًا أو أراد فهم مسألة أن يقدم طلب العون من الله، اللهم أعني على الحضور، اللهم أعني على فهم هذه المسألة، اللهم أعني على حفظ هذا الكتاب، وغير ذلك، فهذا هو حال السلف لقول النبي ﷺ لمعاذ : **[لا تدعن دبر كل صلاة أن تقول اللهم أعني]** ، فينبغي للإنسان أن يتفطن لهذه المسألة العظيمة .

النوع الثاني: من لا يعبده ولا يستعين به، فهو لا يتعبد ولا يطلب من الله أن يعينه: كحال الكافرين .

النوع الثالث : من يعبده أي يفعل العبادة ولكنه لا يستعين بالله، أي بمعنى أنه مُقل من طلب العون من الله – عز وجل –، يغفل عن هذه المسألة وهذه حال كثير منا، نعبده نصلي ونصوم ونقرأ ونحفظ ولكن القليل منا من يطلب من الله أن يعينه على هذا الأمر.

النوع الرابع : من يستعين بالله – عز و جل – ولكن لا يعبده، أو نقول من لا يعبده ويستعين به، كيف؟

الجواب: هذه كحال كثير من أهل الدنيا، تجد الواحد منهم يتاجر فيركب البحار ويغامر في ماله و يقدم نفسه و غير ذلك، فحينما تسأله ألا تخاف قال: استعين بالله أو متوكل على الله في ذلك، فقدّم الاستعانة أو طلب الاستعانة أو عمل بالاستعانة، ولكن لما تنظر إلى جانب التعبد تجده لا يصلي ولا يصوم وانشغل بأمور الدنيا، فهذه حال كثير من أهل الدنيا الغافلين عن عبادة الله – عز و جل –، نعم الله – عز و جل – من كرمه – سبحانه و تعالى – أنه يعينه ويوفقه في هذا الأمر، ولكنه في الأمر الآخر جانب التعبد لا يعينه في ذلك لأنه لم يطلب جانب التعبد، وإنما قدّم طلب غرضًا من أغراض الدنيا .

📖**قال المؤلف ــ رحمه الله ــ: وَدَلِيلُ الْاِسْتِعَاذَةِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ}** [الفلق:١]، **{وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ}**[الناس:١].

الاستعاذة هي بمعنى الالتجاء والاعتصام والتحرز من شيء تخافه إلى من ترجوه، والإنسان إذا خاف من الشيء هرب منه أما الله – سبحانه وتعالى – فنحن نخاف منه ونهرب إليه –سبحانه و تعالى –، **{فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ}** [الذاريات: ٥٠]،وسيأتي – إن شاء الله – تفاصيل هذه المسائل وأنواع الاستعاذة وأحكامها.

📖**قال المؤلف ــ رحمه الله ــ: وَدَلِيلُ الْاِسْتِغَاثَةِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ }**[الأنفال:٩].

الاستغاثة هي بمعنى الدعاء، ولكنها أخص من الدعاء، فهي الدعاء وقت الشدائد، فهي نوع من أنواع الدعاء .

📖**قال المؤلف ــ رحمه الله ــ:: وَدَلِيلُ الذَّبْحِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: {قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٦١) قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ(١٦٢)لاَ شَرِيكَ لَهُ}** [الأنعام:١٦١-١٦٣]. **وَمِنَ الْسُّنَّةِ: [لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ].**

الذبح هو بمعنى إراقة الدم، إراقة الدم أو إزهاق الروح وإراقة الدم، الذبح هو إزهاق الروح بإراقة الدم، **وحكم الذبح يأتي على أنواع :**

النوع الأول: ذبح العبادة، يكون عبادة، مثاله : الأضحية والهدي والعقيقة، وهو على نوعين:

١. واجب، مثاله: هدي التمتع والقران.

٢. ومستحب: كالهدي بالحرم.

النوع الثاني: الذبح الجائز، وهو الذي يراد للحم، لا يراد به التعبد وإنما يراد به اللحم، أن يأكل الإنسان، ويدل على ذلك أن النبي ﷺ قال : **[أما شاتك فشاتك لحم لمن ذبح قبل الصلاة]**، ومثل ما يذبح الإنسان لأهل بيته وكذلك إذا ذبح للضيوف، وإن كنا نقول أن إكرام الضيف مستحب ولكن نحن نتكلم عن أصل الذبح.

النوع الثالث: الذبح المحرم، ويأتي على ثلاث أنواع :

١. كمن يذبح و لم يستوف شروط الذبح، كمن يذبح مثلًا من غير الوجَّدين كالطعن، أن يطعن الحيوان ويريد بذلك الأكل فإنا نقول أن هذا الفعل يُحرم هذه الذبيحة وهي لم تذبح على الهيئة الشرعية، و مثل: الصعق.

٢. الذبح الذي يكون شركًا أصغر، كمن يذبح لله عند القبر، الذبيحة لله ولكن المكان لغير الله.

٣. أن يكون الذبح شركًا أكبر أو كفرًا أكبر، كمن يذبح للجن أو القبر أو الغائبين أو غير ذلك، فإنا نقول أن هذا كفر أكبر مخرج من الملة .

قال المؤلف ــ رحمه الله ــ: وَدَلِيلُ النَّذْرِ قَوْلُهُ تَعَالَى: {يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً}[الإنسان:٧].

النذر هو إلزام الإنسان المكلف نفسه بأمر لم يجب عليه الشرع، فهذا يسمى نذرًا لأنه هو الذي أوجب على نفسه، لم يجب عليه بأصل الشرع، وإنما هو الذي ألزم وكلف نفسه بهذا الأمر.

هل النذر عبادة ؟

الجواب:

- قال أهل العلم : ابتداء النذر مكروه والتزامه عبادة.
- ومنهم من قال: أن التعبد لله – عز و جل – بالنذر المقصود به النذر المطلق، فمن يقول مثلًا : لله عليّ أن أذبح، أو يقول: لله عليّ أن أصلي ركعتين أو أصوم أو أقوم بدون تقييد، أما من قيّد ذلك كأن يقول مثلًا : لله عليّ نذر أن أصلي ركعتين أو أتصدق أو أصوم إن شفى الله مريضي، فإنا نقول أن هذا يعد مكروهًا، لماذا؟

الجواب: أولًا: لأن النبي ﷺ نهى عن هذا الفعل، فنهى عن النذر كما في البخاري، وأيضًا قال : **[فإنما يستخرج به من البخيل]** ، الرجل الكريم لا ينذر، من الذي ينذر؟ البخيل، كيف؟ كأنه يطلب المعاوضة، يقول لسان حاله: اشف مريضي وأصلي، اشف مريضي وأتصدق، و إن لم تشفيه لن أصلي ولن أتصدق، هذا رجل كريم أو رجل بخيل؟!! لذلك النبي ﷺ حينما نهى عن النذر قال: **[إنما يستخرج به من البخيل]**.

قال المؤلف ــ رحمه الله ــ: الْأَصْلُ الثَّانِي: مَعْرِفَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ بِالأَدِلَّةِ وَهُوَ: الاِسْتِسْلاَمُ لِلَّهِ بِالْتَّوْحِيدِ، وَالاِنْقِيَادُ لَهُ بِالْطَّاعَةِ، وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الْشِّرْكِ وَأَهْلِهِ، وَهُوَ ثَلاَثُ مَرَاتِبَ: الْإِسْلاَمُ، وَالْإِيمَانُ، وَالْإِحْسَانُ. وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا أَرْكَانٌ. فَأَرْكَانُ الْإِسْلاَمِ خَمْسَةٌ: شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الْصَّلاَةِ، وَإِيتَاءُ الْزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ.

فَدَلِيلُ الْشَّهَادَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: {شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [آل عمران:١٨].

قال المصنف – رحمه الله تعالى– : الأصل الثاني، الأصل الثاني من ماذا؟ من الأصول الثلاثة.

الأصل الأول: معرفة الله، والأصل الثاني: معرفة دين الإسلام، وسبق أن تكلمنا على معنى الدين ومعنى الإسلام وأن **الإسلام ينقسم إلى قسمين أو يعرف بتعريفين :**

١. **الإسلام العام**: الذي يراد به جميع الأديان، وهو ما ذكر المصنف – رحمه الله تعالى– هنا **بقوله: الإِسْتِسْلاَمُ لِلَّهِ بِالْتَّوْحِيدِ، وَالاِنْقِيَادُ لَهُ بِالْطَّاعَةِ، وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الْشِّرْكِ وَأَهْلِهِ**، هذا يدخل في جميع الأديان السابقة، دين النصارى ودين اليهود ومن قبلهم من الأديان.

٢. **الإسلام الخاص**: وهو ما جاء به النبي – من أحكام وشرائع، هذا دين الإسلام ولكنه خاص بهذه الأمة.

قوله: بِالأَدِلَّةِ: يشير المصنف – رحمه الله تعالى – إلى أن الإسلام لا يؤخذ بالتقليد، وإنما يؤخذ عن طريق الدليل.

قوله: وَهُوَ: الإِسْتِسْلاَمُ لِلَّهِ بِالْتَّوْحِيدِ: أي أن الإسلام قائم على ثلاثة ركائن:

أولًا: الاستسلام لله بالتوحيد.

ثانيًا: الانقياد له بالطاعة.

ثالثًا: البراءة من الشرك وأهله.

ما معنى الاستسلام؟

الجواب: الاستسلام بمعنى الخضوع لله – عز و جل –، ولكن هذا الخضوع يكون بالتوحيد أي أن تخضع لله – عز وجل – بالتوحيد، فلا تعبد إلا هو، فلا صلاة إلا لله، ولا صوم إلا لله، ولا نذر إلا بالله.

قوله: وَالاِنْقِيَادُ لَهُ بِالْطَّاعَةِ: أي الانقياد لله – عز و جل –، والطاعة تكون لله – عز و جل – و للنبي ﷺ.

قوله: وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الْشِّرْكِ وَأَهْلِهِ: سبق أن ذكرنا معنى البراءة وهي بمعنى المعاداة، فالبراءة من الشرك أي معاداة الشرك.

لماذا قال المصنف: (البراءة من الشرك وأهله) و لم يقل (البراءة من أهله) ؟

الجواب: لأن الإنسان قد يبرأ من أهل الشرك ولكنه لا يبرأ من الشرك، أي لا يتبرأ من الشرك، والمصنف هنا دقيق حيث قال : وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الْشِّرْكِ وَأَهْلِهِ، أي أن تبرأ من أفعال المشركين ومن المشركين أنفسهم، أي تبرأ من الشرك وتبرأ أيضًا من المشركين.

في بعض النسخ : والخلوص من الشرك و أهله، ولكن أيهما أولى وأحسن أن نقول البراءة من الشرك أو الخلوص من الشرك ؟

الجواب: قوله: البراءة من الشرك أفضل من قوله: الخلوص من الشرك و أهله، لأنه هو اللفظ القرآني وهو أيضًا من حيث المعنى أولى و أدل من الخلوص .

قوله: وَهُوَ ثَلاَثُ مَرَاتِبَ: أي أن الإسلام ثلاث مراتب، وسماها هنا مراتب، و في أول الكلام أو في أول الجملة سماها عبادة أو أنواع العبادة، و قولنا لكم أنه لا مشاحة في الاصطلاح.

قوله: وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا أَرْكَانٌ: والدليل على أن هذه المراتب لها أركان: إنما هو التتبع و الاستقرار، فالعلماء نظروا في نصوص الكتاب والسنة وجدوا أن الدين له مراتب وأن هذه المراتب لها أركان، وذكروا أدلة لهذه الأركان كما يذكر المصنف – رحمه الله تعالى –.

قوله: فَأَرْكَانُ الْإِسْلاَمِ خَمْسَةٌ: شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الْصَّلاَةِ، وَإِيتَاءُ الْزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ.

أركان الإسلام خمسة –كما في حديث ابن عمر– قال : **[شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام]**، و المصنف – رحمه الله تعالى – فصّلها و ذكر هذه المسائل بالتفصيل، **فقال : فَدَلِيلُ الْشَّهَادَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: {شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}** [آل عمران:١٨].

أي دليل على أنها ركن لهذا الدين، هناك دليل عام يجمع هذه الأركان كما في حديث ابن عمر: **[بني الإسلام على خمس ..]**، وهناك أدلة خاصة تبين أهمية هذه الأركان فقال المصنف – رحمه الله تعالى –: **فَدَلِيلُ الْشَّهَادَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: {شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}** [آل عمران:١٨].

📖**قال المؤلف ــ رحمه الله ــ: وَمَعْنَاهَا: لاَ مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلاَّ اللهُ، وَحَدُّ النَّفْيِ مِنَ الإِثْبَاتِ (لاَ إِلَهَ) نَافِياً مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ (إِلاَّ اللهُ) مُثْبِتاً الْعِبَادَةَ للهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ.**

قوله: لاَ مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلاَّ اللهُ: لا إله إلا الله أعظم كلمة في الوجود، لذلك الإنسان لا يدخل الإسلام إلا بعد أن ينطق بهذه الكلمة، كما أن من نطق هذه الكلمة ومات عليها فهو من أهل الجنة، ولكن ما معنى هذه الكلمة ؟

الجواب: معنى هذه الكلمة كما ذكر المصنف – رحمه الله تعالى – : **لاَ مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلاَّ اللهُ،** أي لا أحد يستحق أن يُعبد إلا الله – سبحانه و تعالى –، ولكن نجد في كلام بعض العلماء أو في تعريف بعض العلماء حينما يذكرون هذه الكلمة يقولون: لا إله إلا الله أي لا خالق إلا الله، صحيح أو ليس بصحيح؟

الجواب: صحيح أنه لا خالق إلا الله، و لكن ليس هذا هو المعنى، لماذا ؟

الجواب: لأنهم فسروا هذه الجملة بتوحيد الربوبية، ومعلوم أن كفار قريش كانوا يُقرّون بتوحيد الربوبية وإنما ينكرون توحيد الألوهية.

أيضًا قول بعض العلماء: لا خالق أو لا مخترع أو لا مالك إلا الله صحيح، ولكن ليس هذا هو معنى هذه الجملة.

نجد أحيانًا في كلام بعض العلماء يقول: لا معبود إلا الله، يحذف كلمة (بحق) سواء قصد أو بغير قصد، هل هذا صحيح أو ليس بصحيح ؟

الجواب: أننا ننظر إن كان هذا المتكلم من أهل السنة والجماعة فإنه يجوز وكلامه في الحقيقة صحيح.

وإن كان هذا الرجل من المبتدعة نقول أنه لا بد من إضافة (بحق).

لا إله إلا الله: أين خبر لا ؟

الجواب: أن خبر لا محذوف، ومعلوم في لغة العرب أن خبر لا النافية للجنس يجوز حذفه، ولكن بشرط إذا المراد مع سقوطه ظهر، وشاع في هذا الباب إسقاط الخبر إذا المراد مع سقوطه ظهر، فإن كان المتحدث من أهل السنة نعرف أنه يريد بذلك (بحق) فيكون كلامه صحيحًا، أما إن كان هذا الرجل من المبتدعة فإنا نقول أنه لا بد من إضافة كلمة (بحق)، فلذلك إذا وجدت لبعض العلماء يقول: لا معبود إلا الله يفسر هذه الكلمة لا تستعجل في رد هذه الجملة لأنه يريد (لا معبود بحق)، وفي لغة العرب يجوز حذف خبر لا النافية للجنس، و لكن إذا كان المراد ظاهرًا، أما إذا كان المراد لا تعرفه فلابد من إضافة كلمة (بحق) .

والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

التسلسل العام للدروس (٤)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، أما بعد:

قال المؤلف ــ رحمه الله ــ: وَدَلِيلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ}[التوبة: ١٢٨]. **وَمَعْنَى شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، وَاجْتِنَابُ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ، وَأَنْ لاَ يُعْبَدَ اللهُ إِلاَّ بِمَا شَرَعَ.**

لما ذكر المصنف – رحمه الله تعالى – هذا الدين وهو الإسلام وأنه يقوم على شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ذكر الأدلة على الجزء الأول من هذه الكلمة العظيمة التي هي لا إله إلا الله فذكر الأدلة ثم ذكر أركان هذه الكلمة ومعنى هذه الكلمة ، ثم انتقل بعد ذلك إلى الجزء الثاني من هذه الكلمة وهو إثبات أن النبي ﷺ رسول في ذلك وقال : **وَدَلِيلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ:** أي بمعنى اعتقاد أن محمدًا ﷺ هو رسول من عند الله عز وجل وهو أمر متفق عليه.

ومعنى هذه الشهادة هو ما ذكره مصنف – رحمه الله تعالى – من قوله : **وَمَعْنَى شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ**.... إلى آخر كلامه، وهذا المعنى الذي ذكره المصنف – رحمه الله تعالى – في معنى شهادة النبي ﷺ من أروع وأجمل ما ذكر في معنى شهادة النبي ﷺ.

قوله: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ: أي بمعنى طاعة النبي ﷺ فيما أمر ، أي بمعنى أن النبي ﷺ أمر بأوامر ، وهذه الأوامر إما أن تكون لازمة فيجب طاعته فيها وتكون هذه من الواجبات ، وإما أن تكون هذه الأوامر أوامر ليست واجبة وإنما مستحبة، أمرًا ولكنه ليس بلازم وهذا من قبيل أو ما يسمى بالأمر المستحب ، وعلى ذلك فأوامر النبي ﷺ نوعين :

النوع الأول: أوامر واجبة: يجب طاعته فيها.

النوع الثاني: أوامر غير لازمة يستحب طاعته فيها.

قوله: فِيمَا أَمَرَ: (ما) هنا تحتمل أن تكون مصدرية أي طاعته في أمره ، ويحتمل أن تكون موصولية بمعنى الذي أي طاعته في كل أمْر أمَر النبي ﷺ به.

قوله: وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ: أي أن من مقتضى هذه الشهادة أن تصدق النبي ﷺ في كل خبر أخبر به، ولكن لا بد أن يكون هذا الخبر الذي وصلنا عن النبي ﷺ حديثًا صحيحًا في ذلك ، أما الأحاديث الضعيفة فلا نصدقها لأنها أحاديث ضعيفة ، وأعظم من ذلك الحديث الموضوع أو الكذب.

قوله: وَاجْتِنَابُ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ:أي أنه يجب على الإنسان أن يترك ويجتنب كل ما نهى عنه النبي ﷺ .

وهذه **النواهي التي نهى النبي ﷺ إنما هي على نوعين :**

النوع الأول: نهي يجب علينا تركه وهو ما يسمى بالمحرم ، فهو نهي على وجه الإلزام .

النوع الثاني: نهي ولكنه ليس على وجه الإلزام ، وهذا ما يسمى بالمكروه .

فإن المسلم من كمال إيمانه أنه يترك كل ما نهى عنه النبي ﷺ سواء كان من المحرمات أو المكروهات.

قوله: وَأَنْ لاَ يُعْبَدَ اللهُ إِلاَّ بِمَا شَرَعَ: وهذه الجملة من المصنف – رحمه الله تعالى – يعنون لها بعض العلماء بتوحيد الإتباع ، فيذكر من أنواع التوحيد توحيد الإتباع ، وكنا نقول أنه يجوز للإنسان أن يأتي بأنواع كثيرة للتوحيد فيقول توحيد التوكل ، توحيد الرجاء ، توحيد الإتباع ، توحيد الحاكمية وغير ذلك ، ولكن الأولى الاقتصار على ما ذكر العلماء لأن غالب هذه الأشياء إما تكون مندرجة في توحيد الربوبية أو الألوهية أو الأسماء والصفات ، فمِن العلماء مَن يقول عن طاعة النبي ﷺ توحيد الإتباع : أي بمعنى أن العبادة لا تكون إلا عن طريق النبي ﷺ ، أما الأمور المبتدعة والأمور التي لم يرد عن النبي ﷺ فعلها أو الأمر بها فلا يجوز لأحد أن يتعبد الله بها ، لذلك ذكر المصنف – رحمه الله تعالى – هذا القيد المهم من قوله : **وَأَنْ لاَ يُعْبَدَ اللهُ إِلاَّ بِمَا شَرَعَ.**

📖**قال المؤلف ــ رحمه الله ــ: وَدَلِيلُ الْصَّلاَةِ وَالْزَّكَاةِ، وَتَفْسِيرُ الْتَّوْحِيدِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ}** [البينة:٥].

أي أن دليل وجوب الصلاة والزكاة وأنها من التوحيد هذه الآية لأن الله – عز وجل – أمر بهذه الشرائع وهي الصلاة والزكاة ، كذلك أمر بالتوحيد بقوله : **{وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ}** [البينة: ٥]، وقولنا لكم كل عبادة في القرآن فهي بمعنى التوحيد.

📖**قال المؤلف ــ رحمه الله ــ: وَدَلِيلُ الْصِّيَامِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ }** [البقرة:١٨٣].

أي ودليل أن الصيام ركن من أركان الإسلام قوله تعالى : **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ }** [البقرة:١٨٣].

📖**قال المؤلف ــ رحمه الله ــ: وَدَلِيلُ الْحَجِّ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ البَيتِ مَنِ اِسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ العَالَمِينَ }** [آل عمران:٩٧].

أي ودليل الحج أنه ركن من أركان الإسلام قوله تعالى : **{وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ البَيتِ مَنِ اِسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ العَالَمِينَ }** [آل عمران:٩٧].

ثم بعد ذلك انتقل المصنف – رحمه الله تعالى – إلى الإيمان وهي المرتبة الثانية من مراتب هذا الدين ..

قال المؤلف ــ رحمه الله ــ: الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: الإِيمَانُ؛ وَهُوَ: بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، فَأَعْلاَهَا قَوْلُ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ.

الإيمان في اللغة قيل أنه بمعنى التصديق ، وذهب جمع من أهل العلم كشيخ الإسلام ابن تيمية إلى أن الإيمان هو بمعنى الإقرار ، أي أنه تصديق وزيادة على التصديق وهو الذي يسمى بالإقرار .

وفي الاصطلاح الإيمان أحسن ما يعرف به هو ما عرفه به السلف وقولهم : الإيمان قول وعمل ، هذا على سبيل الإجمال ، أما على سبيل التفصيل فإنهم يقولون : الإيمان قول باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالأركان ، يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان .

أما الكلمات التي اتفق عليها السلف هي قولهم: (قول وعمل) ولكن نلاحظ في كتب أهل العلم وخاصة التي تتحدث عن الإيمان تجد من العلماء من يقول مثلًا : قول وعمل و تقوى ، ومنهم من يقول : قول وعمل وإسلام ، ومنهم من يقول : قول وعمل ونية ، ومنهم من يقول : قول وعمل وإخلاص ، وغير ذلك من الألفاظ.

ويكفي أن نقتصر على ما اقتصر عليه السلف وهو قولهم : قول وعمل ، ولكن من العلماء من نظر إلى أن القول والعمل لا بد أن يكون صاحبهما مسلم ، فقال : قول وعمل وإسلام ، ومنهم من قال: لا بد أن يكون من رجل يقول ذلك مخلصًا ، فقال : قول وعمل وإخلاص ، ومنهم من قال لا بد أن يكون من تقي ، فقال : قول وعمل وتقوى ، وغير ذلك ، فلذلك نقتصر على ما اقتصر عليه السلف من قولهم : قول وعمل .

أحيانًا بعض السلف يقول : قول وعمل ، ويزيد على ذلك (يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية) لماذا ؟

الجواب: لأنه ظهرت طوائف تقول بأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص ، فاضطر السلف إلى أن يأتوا بهذه الزيادة بقولهم : قول وعمل يزيد وينقص.

والإيمان له شعب ، أعلى هذه الشعب: قول لا إله إلا الله ، وأدنى هذه الشعب: إماطة الأذى ، وبينها شعب كثيرة: كالحياء والخوف والرجاء وغير ذلك .

ولكن لماذا جعل إماطة الأذى هي أقل الدرجات مع أن هناك أعمال أيسر و أسهل من إماطة الأذى كالابتسامة ؟ فالابتسامة في وجه المسلم سهلة ويسيرة ، أسهل وأيسر من إماطة الأذى ، فلماذا جعل إماطة الأذى أقل الدرجات ؟

الجواب: والله أعلم أن إماطة الأذى يستوي فيها الناس جميعًا ، حتى الكافر تجده يميط الأذى ، فلذلك جعلت هذه المرتبة من أقل المراتب ، وأعلى وأعظم المراتب قول لا إله إلا الله .

كم عدد شعب الإيمان ؟ الجواب: اختلف العلماء ، لاختلاف الأحاديث في ذلك:

- فمنهم من قال: بأنها ثلاث وسبعين.
- ومنهم من قال: بضع وستون.
- ومنهم من قال ثلاث وستون.

وغير ذلك من الأقوال ، فهذا ينبني على الأحاديث ، وإن كان الأظهر في ذلك أن يقال أنها بضع وستون شعبة .

هل نقول بأن الإيمان مخلوق ؟ أو نقول أن الإيمان ليس بمخلوق ؟ أو نترك هذه المسألة ؟

الجواب: أن ترك ذلك أولى ، لا يتحدث أو لا يتكلم المرء بمثل هذه الأشياء ، ولكن حيث أن بعض الناس يتحدث بها، اضطر أهل السنة والجماعة إلى بيان هذه المسائل فقالوا : لا نقول الإيمان مخلوق على سبيل الإطلاق ، ولا نقول أنه ليس بمخلوق أيضًا على سبيل الإطلاق ، بل لا بد فيه من التفصيل .

فالإيمان أي من حيث فعل العبد وحديث العبد وكلام العبد هو مخلوق ، لأن الله خلقنا وخلق أعمالنا وأقوالنا ، أما ما يعتقده الإنسان ويتلفظ به كالقرآن فليس بمخلوق ، لذلك يقول السفاريني- رحمه الله تعالى - :

وَلَا تقل إيمَاننَا مَخْلُوق وَلَا قديم هَكَذَا مطلوق

فَإِنَّهُ يَشْمَل للصَّلَاة وَنَحْوهَا من سَائِر الطَّاعَات

فَفَعَلْنَا نَحْو الرُّكُوع مُحدث وكل قُرْآن قديم فابحثوا

وإن كانت هذه اللفظة فيها ما فيها وسيأتي – إن شاء الله – الكلام عنها –.

نفرق بين القرآن الذي نقرأ وبين أفعالنا وأقوالنا ، لأن هؤلاء أرادوا أن يتوصلوا إلى أن القرآن مخلوق فجاءوا بهذه الألفاظ ، فقالوا : الإيمان مخلوق ، والإيمان ما المراد به ؟

الجواب: الإيمان أفعال الإنسان كالصلاة ، والصلاة فيها قراءة القرآن ، فهم يريدون أن يتوصلوا إلى القول بأن القرآن مخلوق فجاءوا بهذه الشبهة ، فلذلك لا نقل بأنه مخلوق على سبيل الإطلاق ، ولا أنه ليس بمخلوق أيضًا على سبيل الإطلاق ، فلا بد من تفصيل .

قوله: وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ: الحياء هو خلق كريم ، يبعث على فعل الجميل وترك القبيح ، وهو من صفات المؤمن ، لذلك قال النبي ﷺ : **[الحياء من الإيمان]**.

قال المؤلف ــ رحمه الله ــ: وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ: (أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَبِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّه) وَالْدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الْأَرْكَانِ السِّتَّةِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: {لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ}[البقرة:١٧٧]. وَدَلِيلُ الْقَدَرِ قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ}[القمر:٤٩].

قوله: وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ: أي أن أركان الإيمان ستة ، والدليل على ذلك حديث جبريل ، ولكن شعب الإيمان كثيرة.

قوله: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ: الإيمان بالله – عز وجل – يشمل أربعة أمور:

١. الإيمان بوجوده : أي أنه موجود ، ودل على وجود الله – عز وجل – القرآن والسنة والعقل والفطرة والحس .

٢. الإيمان بربوبيته .

٣. الإيمان بألوهيته .

٤. الإيمان بأسمائه وصفاته .

قوله: وَمَلَائِكَتِهِ: الإيمان بالملائكة يشمل: الإيمان بوجودهم ، وكذلك بما علمنا من أسمائهم وصفاتهم ، وهؤلاء – أي الملائكة – خلقهم الله – عز وجل – من نور ، فهم عالم نوراني ، خلقهم الله – عز وجل – لطاعته .

قوله: وَكُتُبِهِ: الإيمان بالكتب يشمل:

أولًا: الإيمان بأنها من كلام الله – عز وجل – ، فنصدق أنها من كلام الله.

ثانيًا: الإيمان بما علمنا من أسماء هذه الكتب: كالقرآن والتوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وموسى.

ثالثًا: تصديق هذه الكتب ، فالقرآن نصدق به ، ونصدق هذا القرآن وأنه منقول إلينا بالتواتر وتكفل الله – عز وجل – بحفظه ، أما بقية الصحف وبقية الكتب فإنا نصدق ما صح منها ، أما الذي لا يصح فإنا لا نصدقه ، ولا نكذبه إلا إذا ثبت أنه كذب .

قوله: وَرُسُلِهِ: الرسول هو من أُوحي إليه بشرع وأمِر بتبليغه ، والإيمان بالرسل يشمل الإيمان بما علمنا من أسمائهم وصفاتهم ، وأنه يجب علينا تصديقهم وطاعتهم وخاصة النبي ﷺ نطيعه فيما أمر ونجتنب ما عنه زجر .

قوله: وَالْيَوْمِ الْآخِرِ: اليوم الآخر المراد به يوم القيامة ، والواجب علينا تجاه ذلك اليوم:

أولًا: الإيمان به وأنه هو اليوم الآخر ، ويسمى بمسميات كثيرة كيالوم الآخر ويوم القيامة ويوم الصاخة ويوم الطامة والتغابن وغير ذلك ، وكل ما كان عند العرب معظَّم كثرت له المسميات وهذا مهيع العرب في كل أمر معظم .

قوله: وَبِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ: أي نؤمن بإثبات القدر أي بمعنى أن الله – عز وجل – قدر هذه الأشياء لعلمه وقدرته ، وأن ما كان في علم الله – عز وجل – سيكون واقعًا ونؤمن بالقدر خيره وشره .

وهذه تسمى عند العلماء بالأركان أو أركان الإيمان ، قد يقول قائل ما هو الدليل على تسمية هذه الأشياء بالأركان؟ الجواب: الدليل على ذلك: إنما هو التتبع والاستقرار ، والنبي ﷺ حينما سئل عن الإيمان عرفه بالأركان ، لأن الركن هو جزء الشيء الذي لا يسقط ، ثم قال والدليل على هذه الأركان قوله تعالى : **{لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ}**[البقرة:١٧٧].

📖**قال المؤلف ــ رحمه الله ــ: الْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: الْإِحْسَانُ رُكْنٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ. وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ}**[النحل:١٢٨]. **وَقَوْلُهُ تَعَالَى:{وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (٢١٧) الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ (٢١٨) وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ (٢١٩) إِنَّهُ هُوَ**

السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}[الشعراء:٢١٧ ــ ٢٢٠]. **وَقَوْلُهُ تَعَالَى {وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ}** [يونس:٦١].

انتقل المصنف – رحمه الله تعالى – بعد ذلك إلى المرتبة الثالثة وهي الإحسان ، ولكن لماذا أخره المصنف – رحمه الله تعالى – ؟

الجواب: أخره موافقة للحديث – حديث جبريل – فإنه جعل الإحسان في المرتبة الثالثة ، والإحسان هو أعلى وأجل المراتب ، فهو أكمل من الإسلام والإيمان.

وعلى ذلك: فهذه المراتب من حيث الأفضلية: أولها الإحسان ، فهذا أكملها، ثم الإيمان ، ثم الإسلام .

وعلى ذلك هل قولنا: (كل مسلم محسن) صحيح أم خاطئ ؟ قول خاطئ ، وكذلك قولنا: (كل مؤمن محسن) قول خاطئ ،أما قولنا: (كل مؤمن مسلم) فهو قول صحيح ، وكذلك قولنا: (كل محسن مسلم) فهو قول صحيح.

قولنا:(كل محسن مؤمن) صحيح ، لمـــــــــــــــــاذا ؟

الجواب: لأن الإحسان يعد أعلى المراتب ، وبعض العلماء في الشرح أو في الكتب يجعلها على ثلاث دوائر ، الدائرة الكبرى: الإسلام، ثم أصغر منها: الإيمان، ثم أصغر منها: الإحسان ، فيبدأ الإنسان عند دخوله لهذا الدين بالإسلام ، فإذا ازداد إسلامه انتقل إلى الإيمان ، فإذا ازداد إيمانه انتقل إلى درجة الإحسان.

والإحسان بمعنى أو مأخوذ من الحسن ، وهو الإتقان ، وأصل الإحسان ضد الإساءة ، فمن أتقن شيئًا وأجاده فهو محسن ، ضد المسيء ، **والإحسان يأتي على نوعين :**

النوع الأول: يأتي مقرونًا بلفظ آخر كلفظ الإسلام مثلًا.

النوع الثاني: يأتي أحيانًا مفردًا.

فإذا جاء مقرونًا بالإسلام فإنه يكون بمعنى المراقبة وحسن الطاعة ، أو يقال هو بمعنى إتقان الظاهر والباطن ، أما إذا ورد مفردًا أو مطلقًا فإنه يكون بمعنى فعل كل ما هو حسن ، يقال هذا إحسان ، **والإحسان على مرتبتين أو على درجتين:**

الدرجة الأولى: وهي الدرجة الأكمل والأعظم وهي درجة المحسنين ، وهو أن تعبد الله كأنك تراه ، وهذه تسمى عند بعض العلماء بدرجة الاستحضار أو المشاهدة.

الدرجة الثانية: وهي فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

قال المؤلف ــ رحمه الله ــ: وَالدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ: حَدِيثُ جِبْرِيلَ الْمَشْهُورُ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ – ﷺ – قَالَ: [بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ – ﷺ –إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الْشَّعْرِ، لاَ يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ الْسَّفَرِ، وَلاَ يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، فَجَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ:

يَا مُحَمَّدٌ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلاَمِ. قَالَ: [أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الْصَّلاَةَ وَتُؤْتِيَ الْزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اِسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً]. قَالَ: صَدَقْتَ. فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ. قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ. قَالَ: [أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَبِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ]. قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ. قَالَ: [أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ]. قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الْسَّاعَةِ. قَالَ: [مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ الْسَّائِلِ]. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا. قَالَ: [أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الْشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ]. قَالَ: فَمَضَى، فَلَبِثْنَا مَلِياً. فَقَالَ: [يَا عُمَرُ أَتَدْرُونَ مَنِ الْسَّائِلُ؟] قَلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: [هَذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُمْ].

هذا الحديث يسمى بحديث جبريل وهو عظيم القدر عند العلماء ، فقد قال عنه الإمام ابن دقيق العيد – رحمه الله تعالى–: هذا حديث عظيم اشتمل على تعاليم الإسلام ، ولما تنظر وتتأمل في هذا الحديث تجد أنه ذكر مراتب الدين ، فذكر الإسلام والإيمان والإحسان ، وكذلك ذكر اليوم الآخر ، وذكر علامات اليوم الآخر ، فقد اشتمل على عدة فوائد ، ففيه أدب التعلم والتعليم ، وأدب اللباس ، وأدب السؤال ، وهو حديث تحدث أو تكلم عن هذا الدين ، فهو من أعظم الأحاديث في الإسلام ؛ فهو يتكلم ويتحدث عن شمائل هذا الدين .

📖قال المؤلف ــ رحمه الله ــ: الْأَصْلُ الْثَّالِثُ: مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَهُوَ مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِنَ الْعَرَبِ، وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ – عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الْصَّلاَةِ وَالْسَّلاَمِ–، وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ ثَلاَثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ الْنُبُوَّةِ، وَثَلاَثٌ وَعِشْرُونَ نَبِيًّا رَسُولاً. نُبِّيءَ بِـ {اقْرَأْ }وَأُرْسِلَ بِـ {الْمُدَّثِّرُ}، وَبَلَدُهُ مَكَةُ، وَهَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ، بَعَثَهُ اللهُ بِالْنِّذَارَةِ عَنِ الْشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَى الْتَّوْحِيدِ.

الأصل الثالث أي من الأصول الثلاثة ، فالأصل الأول: هو معرفة الله ، والأصل الثاني: معرفة دين الإسلام ، والأصل الثالث: معرفة النبي ▪ ، ولكن قبل الحديث عن النبي ▪ هل يجب على المسلم أن يعرف كل ما ذكره المصنف – رحمه الله تعالى – من تفاصيل في ذلك ؟

الجواب: ظاهر صنيع المصنف أنه يجب عليه ، لماذا؟

الجواب: لأنه ذكر في مقدمة الأصول الثلاثة أن هذه الأصول يجب على كل مسلم أن يتعلمها.

ولكن الأظهر في ذلك والأقرب: أنه يجب على الإنسان أن يتعلم ما أمر به الشارع ، وأما بقية المسائل التي ذكرها المصنف – رحمه الله تعالى – كنسب النبي ﷺ كاملًا، وسيرة النبي ﷺ ، وتفصيل حياته ﷺ ، فمعرفة ذلك إنما هو من قبيل الاستحباب.

فمثلًا: معرفة نسب النبي ﷺ : أنه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ....إلخ ، نسب النبي ﷺ هل يجب على كل مسلم أن يتعلم ذلك ؟

الجواب: لا ، لماذا ؟

الجواب: لأن الواجب على الإنسان أن يتعلم ما يسأل عنه ، فالإنسان إذا أُدخل القبر يسأل عن ماذا ؟

الجواب: يسأل من هو الرجل الذي بعث فيكم ، أو ما تقوله في هذا الرجل ؟، فورد في الحديث أنه يقول : **[هذا محمد رسول الله]** ، إذن يجب علينا معرفة أن النبي ﷺ محمد رسول الله ، أما ما بعد ذلك فمعرفته تكون من قبيل الاستحباب .

ما الذي يلزمنا عند كلامنا عن النبي ﷺ ؟

أولًا: يلزمنا معرفة نسب النبي ﷺ ، ومولد النبي ﷺ وكذلك سيرته .

ثانيًا: يلزمنا معرفة كونه نبيًا ورسولًا ، كذلك يلزمنا الإيمان بما أمر وطاعته في ذلك واجتناب ما عنه زجر ، وتقديم محبة النبي ﷺ على غيره ، فإذا قلت أنا مؤمن بمحمد ﷺ فإنه يشمل الإيمان بما علمنا من اسم النبي ﷺ وصفاته ، وكذلك ما أمر النبي ﷺ به وما نهى النبي ﷺ عنه ، أما تفاصيل سيرة النبي ﷺ فنقول أن هذا من قبيل الاستحباب .

قوله: مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، من هو عبد المطلب ؟

الجواب: عبد المطلب اسمه شيبة ، أو يقال شيبة الحمد ، ولماذا لقب بعبد المطلب ؟

الجواب: لأن والده هاشم تزوج من المدينة من بني النجار ، فذهب يتاجر في فلسطين فمات هناك ، وقيل: أنه مات في الطريق ، وقيل: أنه مات في المدينة ، فتربى شيبة عند أخواله بني النجار ، فجاء عمه المطلب إلى المدينة فأخذه خلسة – أي خفية – ، فلما قدم به إلى مكة وقد تغير لونه من الشمس فقالوا : من هذا ؟(يخاطبون من ؟ المطلب) ، فأراد أن يعميه على الناس ويخفى أمره فقال : هذا عبد لي ، فلقب من ذلك اليوم بعبد المطلب.

أنا ذكرت ذلك حتى لا يظن ظانّ أن المطلب اسم من أسماء الله – عز وجل – ، فنحن نشاهد بعض الناس يسمى بعبد المطلب ، ونقول بأن التسمية بعبد المطلب لا تجوز.

قد يقول قائل: هذا نبينا ﷺ، فنقول له هذا الرجل – عبد المطلب – مات في الجاهلية.

قد يقول قائل: النبي ﷺ قال : **[أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب]** ، فنقول له: هذا يذكر نسبه.

قد يقول قائل :ورد في حديث أو ورد في كتب النسب أنه يوجد من الصحابة من اسمه عبد المطلب بن ربيعة وهو قريب للنبي ﷺ راوي حديث: [إن الصدقة لا تحل لآل محمد]؛ فنقول أعلم الناس بنسب قريش – هو من ؟

الجواب: الزبير بن بكار ، فحينما تحدث عن عبد المطلب قال : والصحيح أن اسمه المطلب بن ربيعة وليس عبد المطلب بن ربيعة.

وعلى ذلك: فالتسمي بعبد المطلب الصحيح أنه لا يجوز ، وسيأتي – إن شاء الله – في كتاب التوحيد الكلام على ذلك، ونص الإمام حمزة بن عبد الوهاب على هذه المسألة وهي وجوب تغيير الأسماء إن كانت معبدة لغير الله – عز وجل – وذكر قول ابن حزم: اتفقوا على أنه لا يجوز التعبيد لغير الله حاشا عبد المطلب أي أنهم اختلفوا فيه كما سيأتي – إن شاء الله – .

قوله: وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ : هاشم لقب بهاشم قيل لأنه هو أول من هشم الثريد.

قوله: مِنْ قُرَيْشٍ: قريش هي نسب من ينتسب إلى هذه القبيلة وهو جد، أول جد لهؤلاء القرشيين.

قوله: وَقُرَيْشٌ مِنَ الْعَرَبِ: سمو بالعرب لأنهم سكنوا العربات ، أو أنهم تكلموا بلغة يعرب بن قحطان ، والعرب ذكر أهل النسب أنهم على نوعين أو على قسمين :

القسم الأول: عرب عربة. **القسم الثاني**: عرب مستعربة.

قوله: وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ – عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الْصَّلاَةِ وَالْسَّلاَمِ–، وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ ثَلاَثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ الْنُبُوَّةِ، وَثَلاَثٌ وَعِشْرُونَ نَبِيًّا رَسُولاً: أي أن النبي ﷺ مات وكان عمره ثلاث وستون ، وقال بعض العلماء بأقل من ذلك أو أكثر من ذلك ، ولكن هذا هو القول الأظهر ، والأقرب أن النبي ﷺ مات وله من العمر ثلاث وستون سنة.

قوله: مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ الْنُبُوَّةِ: أي أن النبي ﷺ كان في هذه الفترة لا يسمى بنبي ولا رسول ، حتى بعث النبي ﷺ وكان عمره أربعين سنة.

قوله: وَثَلاَثٌ وَعِشْرُونَ نَبِيًّا رَسُولاً، لماذا ؟

الجواب: لأن النبي ﷺ مات وله من العمر ثلاث وستون.

قوله: نُبِّيءَ بِـــ {اقْرَأْ }وَأُرْسِلَ بِـــ {الْمُدَّثِّرُ}:أي نبئ بصدر هذه السورة ، فأصبح نبيًا حينما أنزل عليه: **{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ}** [العلق: ١] ، ثم بعد ذلك بعد فترة لم تطل أرسل بالمدثر ، أي كان رسولًا حينما أُنزل عليه صدرًا من سورة المدثر بقوله : **{يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ}** [المدثر: ١، ٢].

قوله: وَبَلَدُهُ مَكَةُ:أي أنه ولد وعاش فيها ، إلا أنه في فترة الرضاعة انتقل إلى قرية بني سعد وهي جنوب الطائف ، ثم بعد ذلك رجع إلى بلده مكة.

قوله: وَهَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ: أي انتقل من مكة إلى المدينة ، وكانت المدينة قبل ذلك تسمى بيثرب ، فلما هاجر النبي ﷺغيرها ، وسماها بـــ (طابة) أو بـــ (طيبة) و(المدينة) ، فلذلك نقول أن تسمية طيبة أو طابة أو المدينة هي التسمية الشرعية لهذه المدينة المباركة.

والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آل محمد .

التسلسل العام للدروس (٥)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، أما بعد:

📖 **قال المؤلف ــ رحمه الله ــ: الأَصْلُ الْثَّالِثُ: مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَهُوَ مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِنَ الْعَرَبِ، وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ – عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الْصَّلاَةِ وَالْسَّلاَمِ–، وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ ثَلاَثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ الْنُبُوَّةِ، وَثَلاَثٌ وَعِشْرُونَ نَبِيًّا رَسُولاً. نُبِّيءَ بِـ {اقْرَأْ }وَأُرْسِلَ بِـ {الْمُدَّثِّرُ}، وَبَلَدُهُ مَكَةُ، وَهَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ، بَعَثَهُ اللهُ بِالْنِّذَارَةِ عَنِ الْشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَى الْتَّوْحِيدِ.**

سبق الكلام على طرف من هذا الأصل ، فتكلمنا في درس سابق عن بعض المسائل ، ولكن نُعيد ما ذكرنا على عجل في ذلك ، **فقول المؤلف ــ رحمه الله ــ: الأَصْلُ الْثَّالِثُ:** أي من الأصول الثلاثة معرفة نبيكم محمد ﷺ ، وذلك بمعرفة نسب النبي ﷺ ، ومعرفة سيرته ﷺ ، ومعرفة ما جاء به ﷺ من أوامر ونواهي.

ويجب علينا أيضًا تجاه النبي ﷺ: حُبه ﷺ وتعظيمه وتوقيره ، كذلك يجب علينا الدفاع عن ذاته ﷺ وعن سنته ، وكذلك الرد على المبطلين تجاهه ﷺ ، ولكن نقول الرد على المبطلين سواء كانوا من الكافرين أو من المنافقين الذين يتكلمون عن النبي ﷺ أي عن ذاته أو عن سيرته ﷺ أو عن ما جاء به النبي ﷺ من سنن ، فإنا نقول أن هذا من أو جب الواجبات ، وأقرب الفروض إلى الله – عز وجل – أن نتقرب إليه بالرد على هؤلاء ، ولكن الرد على هؤلاء كلهم بحَسبه:

- فالحِمل الثقيل يكون على ولاة الأمر من الأمراء والعلماء ، فيجب عليهم أن يَردوا على هؤلاء من أوجه كثيرة.
- أما عامة الناس فيجب عليهم أن ينكروا هذا الأمر كلٌ بحَسبه ، فالذي يستطيع أن يكتب يكتب ، والذي يستطيع أن يتكلم يتكلم ، والذي يستطيع أن ينصح ينصح ، والذي يستطيع أن يراسل يراسل ، كلٌ بحَسبه والذي لا يستطيع ذلك يقتصر على الدعاء على هؤلاء، فإن النبي ﷺ محفوظ بحفظ الله – عز وجل – فسيرته محفوظة وما جاء به النبي ﷺ محفوظ، ولكن هذا من إنكار المنكر وخاصة في هذه الأيام حيث انتشرت الأفلام المسيئة تجاه النبي ﷺ والرسوم التي تُشخِّص ذات النبي ﷺ ، وبلا شك أن ذلك كفر أكبر مُخرج من الملة ، فإنه يجب على كل مسلم أن يدافع عن النبي ﷺ كُلٌ بحَسبه ، ومن أفضل ما يفعله عامة الناس هو نشر سنة النبي ﷺ ، وذِكر صفاته ا ﷺ ، وذكر فضائله ﷺ ، وبث سيرته ﷺ ، وبيان ما كان يفعله ﷺ تجاه الإنسان وتجاه سائر المخلوقات من الحيوان وبيان رحمته ﷺ وبيان عدله وبيان كرمه مع الناس ، فإن هذا من أقوى ما يكون دفاعًا وسلاحًا لعامة الناس في

ذلك ، أما الولاة والعلماء فإن شأنهم في ذلك كبير والحِمل عليهم ثقيل ، فيجب عليهم أن يدافعوا عن النبي ﷺ بكل ما أو توا من قوة وبيان وعلم .

قوله: وَهُوَ مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ: عبد المطلب هو شيبة بن هاشم ، وهاشم هذا هو عمرو بن عبد مناف، وقيل سُميّ بهاشم لأنه هو أو ل من هشم الثريد لأهل مكة أو للحجيج.

قوله: وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ : وقريش هو النَضر بن كِنانة.

قوله: وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ – عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الْصَّلاَةِ وَالْسَّلاَمِ–: إبراهيم لفظ سرياني أصله في العربية أبٌ رحيم ، الأب الرحيم يقال له إبراهيم.

قوله: أَفْضَلُ الْصَّلاَةِ وَالْسَّلاَمِ: الصلاة معناها الدعاء بأن الله – عز وجل – يثني عليه في الملأ الأعلى ، وأما السلام فهو لفظ دعاء ويراد به طلب السلامة له من النقائص والعيوب .

قوله: وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ ثَلاَثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ الْنُبُوَّةِ، وَثَلاَثٌ وَعِشْرُونَ نَبِيًّا رَسُولاً: نعم وهذا على أصح الأقوال وإن كان أهل السير اختلفوا في عمر النبي ﷺ كما اختلفوا متى بُعث ، وكم جلس بعد البعثة ، وكم جلس أيضاً في مكة ، وكم جلس في المدينة ، في ذلك خلاف ولكن أشهر الأقوال وأقرب الأقوال إلى الصحة ما ذكر المصنف – رحمه الله تعالى –.

قوله: نُبِّىءَ بِـ {اقْرَأْ }وَأُرْسِلَ بِـ {الْمُدَّثِّرُ}: أي نُبِّئ بسورة اقرأ وذلك في صدر هذه السورة الآية الأول ، وكذلك أرسل بالمدثر أي كان رسولاً بالمدثر ، لكن كم المدة بينهما؟

الجواب: ظاهر كلام المصنف – رحمه الله تعالى – أن المدَّة بينهما قليلة، وهذه المسألة اختلف العلماء فيها:

- فمن العلماء من قال: بأنها نحو من ثلاث ليال.
- ومنهم من قال: ستة أشهر.
- ومنهم من قال: سنتين أو ثلاث أو أقل من ذلك.

ولكن الأقرب كما هو صنيع المصنف – رحمه الله تعالى – وظاهر صنيعه أنما هي أيام قلائل إما أن تكون ثلاث أيام أو نحوًا من ذلك .

قوله: وَبَلَدُهُ مَكَةُ: أي أنه ولد ونشأ في مكة ، إلا أنه في وقت الرضاعة انتقل إلى بادية بني سعد وهي جنوب الطائف

قوله: وَهَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ:أي انتقل إلى المدينة بأمر من الله – عز وجل– .

قوله: بَعَثَهُ اللهُ بِالْنِّذَارَةِ عَنِ الْشِّرْكِ: أي بعثه الله ليُحذِّر عن الشرك ، النذير هو : الذي يُحذِّر عن الشرك ، ويبين خطر الشرك ، ويدعو إلى التوحيد ، أي بمعنى أنه يبين ويذكر فضل هذا التوحيد.

📖 **قال المؤلف ــ رحمه الله ــ: وَالدَّلِيلُ قَوْلُه تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ (٦)} وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ}**[المدثر: ١ــ٧]. **وَمَعْنَى {قُمْ فَأَنذِرْ}: يُنْذِرُ عَنِ الْشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَى الْتَّوْحِيدِ. {وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ}، أَيْ: عَظِّمْهُ بِالْتَّوْحِيدِ. {وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ}، أَيْ: طَهِّرْ أَعْمَالَكَ مِنَ الْشِّرْكِ. وَ{وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ}، الْرُّجْزَ: الأَصْنَامُ، وَهَجْرُهَا: تَرْكُهَا، وَالْبَرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلِهَا، أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُو إِلَى الْتَّوْحِيدِ، وَبَعْدَ الْعَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَى الْسَّمَاءِ، وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الْصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، وَصَلَّى فِي مَكَّةَ ثَلاَثَ سِنِينَ، وَبَعْدَهَا أُمِرَ بِالْهِجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَالْهِجْرَةُ الانْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الْشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الإِسْلاَمِ.**

قوله: يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ: أي بثيابه ، المدثر بثيابه.

قوله: قُمْ فَأَنذِرْ: هذا فيه بيان أن النبي ﷺ كان رسولًا حينئذٍ ، **فَأَنذِرْ**: أي حذِّر الناس من الشرك.

قوله: وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ: أي عظمه بالتوحيد.

قوله: وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ : إما أن يقال:

- أي طهر أعمالك من الشرك بالله – عز وجل –.
- ثيابك أي الملبوس من الصوف وغيره طهرها من النجاسات.

ويحتمل الأمرين ، وقلنا فيما سبق أن الآية أو الحديث إذا كان يحتمل أمرين لا يعارض أحدهما الآخر فالأولى حمل الآية أو الحديث على كلاهما.

قوله: وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ: الرجز قيل هي الأصنام ، وقيل هي أعمال المشركين ، **فَاهْجُرْ**: أي اتركها ، والهجر يكون بالقلب ، وذلك ببُغضها ، ويكون أيضاً باللسان ، وذلك بنصب العداوة لها ، وبيان خطرها ، والتحذير منها ، وكذلك بالبدن ، وهو الانتقال من ذلك المكان إلى مكان آخر.

قوله: أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُو إِلَى الْتَّوْحِيدِ، وَبَعْدَ الْعَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَى الْسَّمَاءِ : النبي ﷺ في أو ل أمره كان يدعو بالسرية أي سراً ثلاث سنوات، ثم بعد ذلك جهر بالدعوة ، فكانت الدعوة أولًا سرية ، ثم في السنة الرابعة بدأت الدعوة الجهرية، ثم في السنة العاشرة كان أمرًا آخر وهو الإسراء والمعراج .

قوله: وَبَعْدَ الْعَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَى الْسَّمَاءِ: يشير إلى قضية الإسراء والمعراج ، ولكن ما هو الإسراء ؟

الجواب: الإسراء هو انتقال النبي ﷺ بالبراق من مكة إلى بيت المقدس ، وأصل الإسراء هو المشي ليلًا ، وأما المعراج فهو الآلة التي يظهر عليها وينتقل بها ، وهي ما يكون من بيت المقدس إلى السماء ، ما ركب النبي ﷺ في عروجه من بيت المقدس إلى السماء هذا يسمى معراج .

الإسراء والمعراج فيه مسائل:

المسألة الأولى: متى وقع الإسراء ؟

الجواب: اختلف العلماء في هذه المسألة:

- فقيل: وقع الإسراء في شهر صَفر في سبعٍ وعشرين من صَفر.
- وقيل: في سبعٍ وعشرين أو سبعة عشر من ربيعٍ الأول.
- وقيل غير ذلك.

وكل هذا يدل على أن الصحابة والعلماء من بعدهم من السلف لم يُعظِّموا تلك الليلة ولم يضربوا لها شأنًا ، فلم يخصوها بقيام ولا ذكر ، بل لم يرد في تحديد هذه الليلة أمرًا يتفق عليه العلماء وإنما اختلفوا في أي شهر وفي أي سنة كان ، مما يدل على أنهم لم يُعظِّموا تلك الليلة.

وعلى ذلك نقول: أن تعظيم أي يوم أو ليلة لم يرد به نص بإحداث عيد فيه أو احتفال أو غير ذلك يعد من الأمور المحرمة ، الأمور المبتدعة ، فلا يجوز إقامة الأعياد إلا ما ورد به الشرع ، فلذلك نقول إحياء ليلة المولد أو إحياء ليلة الإسراء أو غير ذلك من الليالي وما أحدث في هذا الزمن المتأخر من الأعياد ما يسمى بالعيد الوطني أو اليوم الوطني أو عيد الأم أو عيد الشجرة أو غير ذلك من الأمور كل ذلك من الأمور المبتدعة الـــمُحرمة التي لا يجوز للمسلم أن يشارك فيها لا بقول ولا بعمل لأن هذه الأمور تعد من الأمور المـــُحرمة ، فيجب على طالب العلم أن يحارب تلك البدع ، ولا يعني ذلك أن الإنسان لا يحب وطنه ، أو إذا حارب ليلة الإسراء أنه لا يحب إسراء النبي ﷺ ، أو إذا حارب بدعة المولد أنه لا يحب النبي ﷺ ، بل نحب النبي ﷺ ونحب كل بلد فيه توحيد بلا شك، ولكن نحن نحارب البدع ونهجر هذه البدع ، لأن كل بدعة مَآلُها إلى الضلال .

المسألة الثانية: من أين – أي من أي مكان – أُسريَ بالنبي ﷺ ؟

الجواب: اختلف العلماء:

- فقيل من بيت أم هانئ.
- وقيل من شِعب عامر.
- وقيل من الحَطيم ما يسمى بالحِجر وهذا هو الأظهر ، لأنه ورد في الحديث أن النبي ﷺ قال : **[بينما أنا نائم في الحطيم إذ جاء جبريل ... الحديث]** .

المسألة الثالثة: ماذا أُحدث في تلك الليلة ؟

الجواب: أُحدث أمور عِظام فالنبي ﷺ اطلع على الجنة وأهلها ، والنار وأهلها ، وكذلك شُرع في تلك الليلة ركن من أعظم أركان الإسلام: وهو الصلاة ، والمُلاحظ أن بعض من يحتفل في تلك الليلة يُعظِّم تلك الليلة بقيام وهدايا وقراءة وذكر وغير ذلك ، وينسى ما شُرع في تلك الليلة وهو الصلاة ، فتجده مُضيع للصلاة ، فنقول من أراد أن يُعظِّم تلك الليلة يُعظِّم ما أُمر فيها وهي الصلاة.

كم أُسري بالنبي ﷺ من مرة ؟ اختلف العلماء:

– فقيل مرة.

– وقيل مرتين.

– وقيل ثلاث.

– وقيل أُسري به مرة وعُرج به مرة.

ولكن الأظهر:أنه أُسري به وعُرج به مرة واحدة في ليلة واحدة ، واختلاف العلماء سببه اختلاف الروايات الواردة في ذلك ، وعلى هذا: فحكم الاحتفال بتلك الليلة : أنه يُعد من الأمور المبتدعة .

قوله: وَصَلَّى فِي مَكَّةَ ثَلاَثَ سِنِينَ، وَبَعْدَهَا أُمِرَ بِالْهِجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَالْهِجْرَةُ الاِنْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الْشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الإِسْلاَمِ.

يدل على أن الإسراء وقع قبل الهجرة بثلاث سنين ، وهذا هو قول المصنف ، وهو قول مشهور ، وقيل بسنتين وقيل بسنة وقيل بستة أشهر ، المتفق عليه أن النبي ﷺ أُسري به ، وإن اختلف العلماء في الوقت وفي المدة وفي المكان ، فإن هذا لا يضر في ذلك.

قوله: وَصَلَّى فِي مَكَّةَ : صلاة النبي ﷺ في أول الأمر كانت ركعتين ركعتين كما ورد في الحديث المتفق عليه عن عائشة – رضي الله عنها – : **[أول ما فرضت الصلاة ركعتين ركعتين ، فزيد في الحضر وأُقر في السفر]**.

قوله: أُمِرَ بِالْهِجْرَةِ: الهجرة هي الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام ، **والهجرة على نوعين:**

النوع الأول: هجرة حسية وهي الانتقال بالبدن من بلد الشرك إلى بلد الإسلام .

النوع الثاني: الهجرة المعنوية وهي هجرة الإنسان المعاصي من الشهوات والشبهات كما في قوله تعالى : **{وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ}** [االمدثر:٥] .

أما حكم الهجرة:

١. فقد تكون واجبة في حق من لم يستطع إظهار الشرائع ، فمن سكن في بلد المشركين و لم يستطع إظهار دينه فهذا يجب عليه الهجرة، وعلى ذلك نقول: أن الهجرة تكون واجبة في حق من لم يستطع إظهار الشرائع الدينية ، والشرائع الدينية: كالآذان والصلاة وغير ذلك ، وليس المقصود بذلك أن يُظهرها على تَخفٍّ ، أو يُظهرها في قوم معينين كالأقليات المسلمة لا ، المقصود بذلك في البلد العام، لذلك البلد المشرك هو البلد الذي لا يظهر فيه أحكام الشرائع الظاهرة كالآذان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك ، أما إن كان يؤذن على وجه خاص فهذا لا يسمى بلد إسلامي ، لأن البلد الإسلامي: هو الذي تقام فيه أحكام الشرائع الظاهرة كالآذان والأمر بالمعروف

والنهي عن المنكر وكذلك يكون الغلبة للمسلمين ، فهذا النوع الأول: تكون الهجرة واجبة في حق من لم يستطع إظهار الشرائع ، ويستطيع الهجرة إن كان عنده إمكان للهجرة .

٢. قد تكون مستحبة لمن يستطيع إظهار الشرائع ولا يخاف على نفسه الفتنة.

٣. قد تكون جائزة وهذا في حق من لم يستطع الهجرة كالمكره في البقاء أو من لا يجد بلد يؤويه ، فإنه لا يأثم في الهجرة ، لأنه لا يستطيع فالمُكره على البقاء في البلد أو الذي لا يستطيع أو لا يجد بلدًا يؤويه فهذا لا يأثم بالبقاء ولا يأثم بترك الهجرة .

لو أن إنسانًا يستطيع إظهار الشرائع وله نفع في ذلك البلد الكافر كبعض الدعاة ، فهل يجب عليه الهجرة أو يستحب في حقه الهجرة ؟

الجواب: أن الأصل في هذا الإنسان أنه يستحب في حقه الهجرة إلا إذا ترتب على ذلك أنه لا يوجد داعية غيره ، فإنه يجب عليه البقاء في هذا البلد ويحرُم عليه الهجرة ، لماذا ؟

الجواب: لأنه إذا هاجر ترك إخوانه المسلمين، فيجب عليه البقاء.

📖 **قال المؤلف ــ رحمه الله ــ: وَالْهِجْرَةُ فَرِيضَةٌ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الْشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الإِسْلاَمِ، وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ الْسَّاعَةُ؛ وَالْدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالْوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَـئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءتْ مَصِيراً (٩٧) إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً (٩٨) فَأُوْلَـئِكَ عَسَى اللّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللّهُ عَفُوّاً غَفُوراً}** [النساء:٩٧ ــ٩٩]. **وقوله تعالى: {يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ}**[العنكبوت:٥٦]. **قَالَ الْبَغَوِيُّ –رَحِمَهُ اللهُ–: سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الآيَةِ فِي الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ فِي مَكَّةَ لَمْ يُهَاجِرُوا، نَادَاهُمُ اللهُ بِاسْمِ الإِيمَانِ..**

قوله تعالى: فَأُوْلَـئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ: دليل على وجوب الهجرة.

قوله تعالى: إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ: دليل على أن الذي لا يستطيع الهجرة لا يأثم في ذلك.

قوله تعالى: يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا: دليل على أن من لم يهاجر فإنه لا زال يسمى مؤمنًا مع أنه آثم في ذلك .

📖 **قال المؤلف ــ رحمه الله ــ: وَالْدَّلِيلُ عَلَى الْهِجْرَةِ مِنَ الْسُّنَّةِ قَوْلُهُ ﷺ : [لاَ تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ الْتَّوْبَةُ، وَلاَ تَنْقَطِعُ الْتَّوْبَةُ حَتَى تَطْلُعَ الْشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا].**

هذا الحديث دليل على أن الهجرة باقية إلى قيام الساعة ، لكن قد يُشْكل على ذلك قول النبي ﷺ : **[لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية]**، والجواب عن ذلك سهل ويسير وهو أن يقال لا هجرة أي من مكة ، فإنّا نقول أن الهجرة من مكة انقطعت لماذا؟

الجواب: لوجود الفتح.

📖 **قال المؤلف ــ رحمه الله ــ: فَلَمَّا اِسْتَقَرَّ فِي الْمَدِينَةِ أُمِرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الإِسْلاَمِ، مِثْلِ: الْزَّكَاةِ، وَالْصَّوْمِ، وَالْحَجِّ، وَالأَذَانِ، وَالْجِهَادِ، وَالأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالْنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الإِسْلاَمِ، أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ، وَبَعْدَهَا تُوفِيَ – صَلاَةُ اللهِ وَسَلاَمُهُ عَلَيْهِ– وَدِينُهُ بَاقٍ، وَهَذَا دِينُهُ، لاَ خَيْرَ إِلاَّ دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيْهِ، وَلاَ شَرَّ إِلاَّ حَذَّرَهَا مِنْهُ، وَالْخَيْرُ الَّذِي دَلَّهَا عَلَيْهِ: الْتَّوْحِيدُ، وَجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ، وَالْشَّرُّ الَّذِي حَذَّرَهَا مِنْهُ: الْشِّرْكُ، وَجَمِيعُ مَا يَكْرَهُ اللهُ وَيَأْبَاهُ، بَعَثَهُ اللهُ إِلَى الْنَّاسِ كَافَّةً، وَافْتَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ: الْجِنِّ وَالإِنْسِ؛ وَالْدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً}** [الأعراف:١٥٨]. **وَكَمَّلَ اللهُ بِهِ الْدِّينَ؛ وَالْدَّلِيلُ قَوْلُ تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً}**[المائدة:٣].**وَالْدَّلِيلُ عَلَى مَوْتِهِ ﷺ قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ (٣٠) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ}**[الزمر:٣٠،٣١].

من الذي أمره ؟ الله – سبحانه وتعالى –.

قوله: مِثْلِ: الْزَّكَاةِ : الزكاة فرضت على نوعين :

النوع الأول: على سبيل الإجمال وذلك في مكة كما في قوله تعالى : { وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ} [الأنعام: ١٤١] فهذه الآية مكيّة .

النوع الثاني: التجزئة وذكر الأنصاب وغير ذلك إنما هو في المدينة في السنة الثانية .

قوله: وَالْصَّوْمِ، وَالْحَجِّ، وَالأَذَانِ، وَالْجِهَادِ:والصوم فُرض أيضًا في السنة الثانية ، والحج فُرض في السنة الثامنة أو التاسعة على خلاف في ذلك ، والجهاد أيضًا فُرض في السنة التاسعة ، أما في السنوات الأولى في الإسلام فقد **الجهاد** بمراحل :

١. في العهد المكي أُمر النبي ﷺ بالصبر .

٢. في **العهد المدني** النبي ﷺ أُمر بعدة أوامر ، فالجهاد نقول مرَّ بمراحل :

المرحلة الأولى: في العهد المدني إباحة القتال من غير الأمر به .

المرحلة الثانية: بعد ذلك فُرض القتال على من قاتل فقط .

المرحلة الثالثة: بعد ذلك أُمر بقتال جميع الكافرين وذلك في السنة التاسعة من الهجرة.

وعلى ذلك نقول: أن الجهاد فُرض في السنة التاسعة من الهجرة .

قوله: وَالأَذَانِ :وهذا في السنة الأولى.

قوله: وَالأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالْنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ:المعروف هو اسم جامع لكل خير ، كما أن المنكر هو اسم جامع لكل شر ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر له أحكام وله شروط وله آداب ، ينبغي للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يلتزم بهذه الأوامر والأحكام ، وغير ذلك من شرائع الإسلام أخذ على هذا عشر سنين .

قوله: وَدِينُهُ بَاقٍ: أي دينه باقٍ محفوظ كما في قوله تعالى : **{فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ }** [القيامة: ١٨، ١٩]، أي أن الله – عز وجل – تكفل ببيان هذا القرآن وبيان ما شرع الله – عز وجل – ، وكما في قوله تعالى : **{إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ }** [الحجر: ٩] حافظون للقرآن وحافظون لهذه الشرائع .

قوله: وَجَمِيعُ مَا يَكْرَهُ اللهُ وَيَأْبَاهُ: أي من الشرور ، وهذه الأمور التي يكرهها الله هي على أنواع :

النوع الأول: الشرك الأكبر وهذا أعظمها وأشدها .

النوع الثاني: الشرك الأصغر .

النوع الثالث: كبائر الذنوب .

النوع الرابع: صغائر الذنوب .

النوع الخامس: اللمم ، واختلف العلماء في اللمم:

- فقيل: اللمم هي أصغر الصغائر ، أو أصغر من الصغائر.
- وقيل: اللمم هو أن يَلُمَّ الإنسان بذنب ثم يتوب منه<

وعلى كلٍ نقول: أن كل ما نهى النبي ﷺ عنه أو ما جاء بالنهي من عند الله – عز وجل – يعد من الأمور المحرمة سواء كان من الشرك الأكبر أو الأصغر أو كبائر الذنوب أو صغائر الذنوب أو اللمم .

قوله: بَعَثَهُ اللهُ إِلَى الْنَّاسِ كَافَّةً، وَافْتَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ: الْجِنِّ وَالإِنْسِ؛ وَالْدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً} [الأعراف:١٥٨].

وكما قال النبي ﷺ : [والذي نفس محمد بيده لا يَسمع بي يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بالذي أُرسلت به ومات على ذلك إلا كان من أصحاب النار]، وهذا دليل على أن النبي ﷺ أُرسل لكافة الناس في ذلك سواء كانوا من أمته – أي أمة الإجابة أو أمة الدعوة – أو كانوا من الإنس أو الجن .

📖 **قال المؤلف ــ رحمه الله ــ: وَالْنَّاسُ إِذَا مَاتُوا يُبْعَثُونَ؛ وَالْدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: { مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى}**[طه:٥٥]، **وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتاً (١٧) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً}**[نوح:١٧،١٨].

قوله: يُبْعَثُونَ: أي يبعثون يوم البعث أو يوم القيامة ، وهذا البعث يكون لجميع الناس من الإنس والجن ، ويبعث الناس يوم القيامة بأرواحهم وأجسادهم بألوانها وأوصافها ، فالذي يقع عليه العذاب والنعيم هي تلك الأجسام التي كانت في

الدنيا ، فهذا الجسم الذي تعب فيما أمر الله – عز وجل – بامتثال ما أمر الله فصلى وصام وقام هو الذي يُنعَّم ، وأما الجسم الذي نبت من حرام وأكل حرامًا وفعل حرامًا هو الذي يعذَّب في الآخرة ، فهذا من باب العدل.

وعلى ذلك نقول: يعتقد أهل السنة والجماعة أن الإنسان يُبعث بجسده الذي خُلق وبأوصافه التي خلقت ، كما قال تعالى : **{كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ}** [الأنبياء: ١٠٤] أي نعيده على الشكل الأول الذي خُلق فيه .

📖 **قال المؤلف ــ رحمه الله ــ: وَبَعْدَ الْبَعْثِ مُحَاسَبُونَ وَمَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ؛ والدليل قوله تعالى: {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى}** [النجم:٣١].

ما هو الحساب ؟

الجواب: الحساب :هو إيقاف الله العباد على أعمالهم ، **والناس في الحساب على ثلاث أنواع :**

النوع الأول: من لا حساب عليهم ولا عذاب ، وهم الأنبياء وكذلك سبعون ألف الذين ذكرهم النبي ﷺ فهؤلاء لا يحاسبون .

النوع الثاني: من يحاسب حسابًا يسيرًا ، وهو ما يسمى بالعرض ، وهم المؤمنون ، فالمؤمن يحاسب حسابًا يسيرًا.

النوع الثالث: الحساب العسير وهو المناقشة ومن نوقش الحساب عُذب كما في الحديث ، وهو يكون للمسرفين على أنفسهم من أصحاب الكبائر الذين لم تغفر لهم هذه الكبائر ، وكذلك من الكافرين .

والأمم في مسألة الحساب على ثلاثة أنواع أو على ثلاثة أقسام :

القسم الأول: وهم أول من يُحاسب من هذه الأمم وهم أمة النبي ﷺ ، فهم الآخرون من حيث الخلق ، ولكنهم الأولون من حيث الحساب ودخولهم الجنة.

أما من حيث الأعمال فالمحاسبة على الأعمال:

- فالأعمال التي بيننا وبين الله: أول ما نحاسب عليه الصلاة ، كما ورد في الحديث : [أول ما يحاسب عليه العبد الصلاة].
- أما الأعمال التي بين العباد وبعضهم:فأول ما يحاسب العبد فيما بينه وبين العبد إنما هو على الدماء ، أول ما يقضى بين العباد في الدماء .

📖 **قال المؤلف ــ رحمه الله ــ: ومن كذَّب بالبعث كفر؛ والدليل قوله تعالى: {زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ}**[التغابن:٧].

التكذيب هو بمعنى الإنكار ، أي من أنكر البعث سواء كان هذا الإنكار إنكارًا كليًا ، كمن قال: أنه لا بعث ، أو أنكر أجزاء من يوم القيامة ، كمن ينكر مثلًا النار أو ينكر الخلود في النار أو ينكر الجنة أو الخلود في الجنة ، أو ينكر

بعض ما يقع في اليوم الآخر كالصراط والحوض والميزان وغير ذلك ، فنقول أن هذا يُعد من الأمور الكُفْرية بالله – عز وجل – ، لذلك قال: **ومن كذَّب بالبعث كفر.**

والناس الذين يكذبون بالبعث كُثُر:

- فمنهم من ينكر البعث إطلاقًا.
- ومنهم من يقول بتناسخ الأرواح.
- ومنهم من يقول بأن البعث إنما يكون للأرواح دون الأجساد.

فهذا كله كفر.

أما طوائف من المعتزلة ويُسمون بالعقلانيين فإنهم ينكرون أجزاء من اليوم الآخر ، فمنهم من ينكر الصراط ومنهم من ينكر الحوض والميزان ، ومنهم من ينكر الخلود في النار وغير ذلك من الأمور ، وكذلك منهم من ينكر خروج بعض المؤمنين من النار، فهؤلاء فيهم خلاف بين أهل العلم هل يَكفر أو لا يكفر؟ ، على أن مسألة الخلود في النار المكث الأبدي في ذلك فيها خلاف ، ولكن الأظهر: أن الكافر خالد مخلد فيها أبدًا كما هو في نص كتاب الله عز وجل .

📖 **قال المؤلف ــ رحمه الله ــ: وَأَرْسَلَ اللهُ جَمِيعَ الْرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ؛ وَالْدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ}**[النساء:١٦٥].

وَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ، وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ وَهُوَ خَاتَمُ الْنَّبِيِّينَ؛ وَالْدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ أَوَّلَهُمْ نُوحٌ قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ }[النساء:١٦٣].

نقول: أن هذا على الصحيح أن أول الرسل نوح، ويدل على ذلك ما ذكره المؤلف ــ رحمه الله ــ من قوله: **{إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ }**[النساء:١٦٣]، وكذلك النبي ﷺ في قصة الشفاعة قال:**[اذهبوا إلى نوح فإنه أو ل الرسل]**.

وقال بعض العلماء: بل أول الرسل هو : آدم ــ عليه السلام ــ.

وقال بعض العلماء: بل أول الرسل هو إدريس، وهو جد نوح.

ولكن الأظهر:أن آدم عليه السلام ــ إنما هو نبي مكَلَّم وليس برسول، وأما إدريس فالأظهر أنه نبي و لم يكن رسولًا، لذلك قال تعالى في سورة مريم: **{وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا}** [مريم: ٥٦]، فذكره بالنبوة، كذلك نقول: أنه نبي لبني إسرائيل، فهو بعد نوح وليس قبل نوح، حتى لو قلنا بأنه رسول فإنا نقول: أنه يكون رسولًا لبني إسرائيل فهو بعد نوح، وليس قبل نوح.

📖 **قال المؤلف ــ رحمه الله ــ: وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللهُ إِلَيْهِمْ رَسُولاً مِنْ نُوحٍ إِلَى مُحَمَّدٍ يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الْطَّاغُوتْ؛ وَالْدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ**

الطَّاغُوتَ}[النحل:٣٦]. **وَافْتَرَضَ اللهُ عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ الْكُفْرَ بِالْطَّاغُوتِ، وَالإِيمَانَ بِاللهِ. قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–: مَعْنَى الْطَّاغُوتِ مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ، أَوْ مَتْبُوعٍ، أَوْ مُطَاعٍ.**

ذكر العلماء تعاريفًا كثيرة في بيان معرفة الطاغوت، ولكن أحسن هذه التعاريف ما ذكره ابن القيم ـــ رحمه الله ـــ ونقله هنا المصنف من قوله: مَعْنَى الْطَّاغُوتِ مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ، أَوْ مَتْبُوعٍ، أَوْ مُطَاعٍ.

مِنْ مَعْبُودٍ: كالأصنام، **أَوْ مَتْبُوعٍ**: كالعلماء، **أَوْ مُطَاعٍ**: كالأمراء.

وأخذ العلماء من ذلك **أن الطواغيت على ثلاثة أنواع:**

١. طاغوت عبادة .

٢. وطاغوت متابعة .

٣. وطاغوت طاعة وحكم.

والكفر بالطاغوت: أي بمعنى اعتقاد بطلان ذلك الطاغوت ونبذه ونصب العداوة له والتحذير منه، ولا يكون الكفر بالطاغوت إلا من أنكر هذا الطاغوت بقلبه ولسانه وجوارحه، وهذا مأخوذ من قوله تعالى: **{وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ}** [المدثر: ٥] ، والهجر يكون باللسان وبالقلب وبالبدن في ذلك.

📖 **قال المؤلف ـــ رحمه الله ـــ: وَالْطَّوَاغِيتُ كَثِيرُونَ، وَرُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ: إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللهُ، وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ، وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ، وَمَنِ ادَّعَى شَيْئاً مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ، وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ؛ وَالْدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْد مِن الْغَيِ فَمَن يَكْفُرْ بالطَّاغُوت وَيُؤْمِن باللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انفِصَام لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}**[البقرة:٢٥٦]. **وَهَذَا هُوَ مَعْنَى (لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ)، وَفِي الْحَدِيثِ: [رَأْسُ الْأَمْرِ الإِسْلاَمُ، وَعَمُودُهُ الْصَّلاَةُ، وَذِرْوَةُ سِنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ].**

قوله: وَالْطَّوَاغِيتُ كَثِيرُونَ ، لماذا؟

الجواب: لأن الطاغوت هو كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أيًّا كان، أو متبوع أيًّا كان، أو مطاع أيًّا كان، وعلى ذلك هم كثيرون، ولكن أصول تلك الطواغيت خمسة، وبعضهم حدها بثلاثة، فمنهم من حدها بثلاثة بقوله:" كل ما عُبد وكل مطاع وكل متبوع من غير الله ـــ عز وجل ـــ غير النبي ﷺ إذا تجاوز به العبد حده فإنه يكون من الطواغيت، ومنهم من يخصه بذكر كما ذكر المصنف ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله: **وَرُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ.**

بدأ المؤلف ـــ رحمه الله ـــ بإبليس ـــ لعنه الله ـــ لماذا؟

الجواب: لأن إبليس جمع الشر كله، فهو الذي بسببه ضل الناس، وبسببه أخرج الأبوين من الجنة، وهو الذي يدعو الناس إلى عبادة نفسه، وهو الذي يدعي معرفة الغيب، وغير ذلك من الأمور، فكل شر إنما هو ناتج عن إبليس، لذلك ذكره المؤلف ـــ رحمه الله ـــ في المرتبة الأولى.

قوله: وَمَنِ اِدَّعَى شَيْئاً مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ، وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ: ومسألة ادعاء علم الغيب، وكذلك مسألة الحكم بغير ما أنزل الله سيأتي الكلام عليها مفصلًا في الكتب المطولة، ككتاب التوحيد وكذلك كتاب الطحاوية وغيره، وبهذا نكون انتهينا من هذا الكتاب الذي أسأل الله ـــ عز وجل ـــ بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يتقبله منا وأن يعيننا على فهمه، وأن يكون هذا الكتاب حجة لنا لا حجة علينا.

والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .